١

سلسلة رجل المهام الصعبة

اللعبة القاتلة

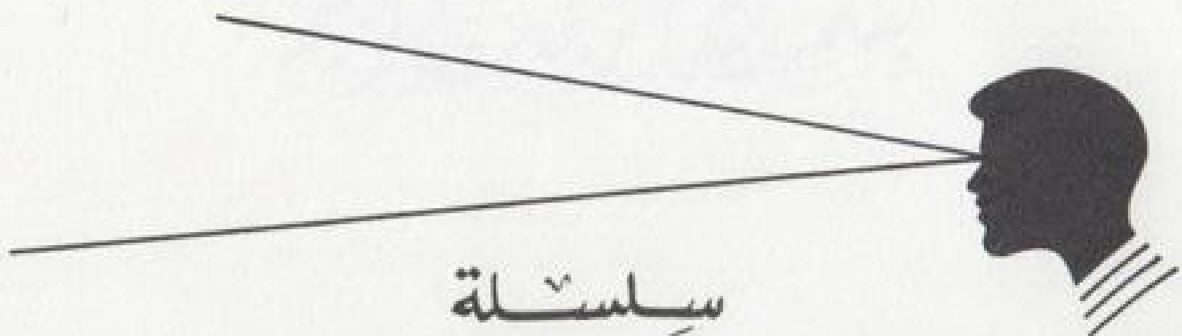


اللعبة القاتلة



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقياً: دارجيلاب - تلكس: ٢٣٤٣٠ دار الجيل



سلسلة
رَجُل المَهام الصَّعبة

المغامرة الأولى

اللعبة القاتلة

تأليف : مَجدي صابر

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩١

رجل العمليات الخاصة:

انها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم «ماجد شريف».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

واذا كان «جيمس بوند» هو اسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن «ماجد شريف» هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير «ماجد شريف»..

ولم يحدث أن خيّب «ماجد» أمل رؤسائه فيه أبداً..

بسم الله الرحمن الرحيم

حسناوات للموت!

يقع مبنى شركة « التجارة عبر البحار » في شارع شريف بوسط العاصمة، وللوهلة الأولى يبدو المبنى محترماً لا يثير أيّ ريبة أو شك بواجهته الفاخرة ومدخله الرخامي العريض، وأجهزة التكييف البارزة في صدر واجهاته الخارجية، وحركة دخول وخروج العاملين والمتعاملين مع الشركة الكبيرة.

كانت الشركة تحتل المبنى بأكمله، ولم يكن هناك أي نوع من الحراسة أو التحقق من شخصية الداخلين أو الخارجين، غير أنه في الحقيقة كان المبنى يحتوي على أخطر جهاز يعمل للحفاظ على أمن البلاد في سرية تامة.

فبأسفل الطابق الأول هناك طابق أرضي يقع تحت سطح أرض مبنى « شركة التجارة عبر البحار »، وكان الطابق السفلي متعدد الحجرات واسع الابهاء يخضع الدخول إليه لاجراءات أمن عالية الدقة، ولا يدري سر وجوده في ذلك المكان إلا أفراد معدودون على أصابع اليد، وكان الدخول اليه والخروج منه يتم من مبنى

مجاور أشبه بقصر أثري، مخصّص لأحدى ادارات المعاشات ولا يرتاده إلا عدد قليل من الموظّفين ولا يدخله أي جمهور. ويؤدّي باب القصر إلى بضع درجات سلميّة هابطة تنتهي بباب ضخم من خشب البلّوط ذات أقفال تعمل بالكومبيوتر، ولا يعرف سر فتحها إلا من يتعامل في الدخول والخروج مع الطابق السفلي للمبنى المقابل، والذي يصل بينهما ممر أرضيّ يبدأ من خلف الباب الضخم وينتهي إلى مدخل الطابق الأرضي للشركة التجارية، والذي لا يعلم عنه أحد شيئاً، ولا حتى أصحاب « شركة التجارة عبر البحار » لزيادة دواعي الأمن والسرية.. أما موظفو ادارة المعاشات العاملين بالقصر، فلم يكونوا إلا أفراداً تابعين لجهاز الأمن السري..

ولا بد أن نتوقع أن هذا الطابق يختص بعمل أحد أجهزة المخابرات المصرية، وكان هذا صحيحاً، فبهذا القسم تدار شئون عمليات الأمن الخارجية، وكان يطلق عليه « قسم العمليات الخارجية » أو « ق ٣ » اختصاراً، فقد كانت هناك أقسام أخرى عديدة يرمز لها برموز أخرى، وتختص بالعمل داخل البلاد بأماكن مختلفة، أو يكون لها أنشطة ذات طبيعة عسكرية.

ادار « ماجد » قفل الباب الخشبي الألكتروني بمفتاح مغناطيسي صغير، وبعد لحظة انفتح الباب كاشفاً عن ممر ضيّق لا يتّسع إلا لمرور شخص واحد، وكان الممر مضاء كالعادة، حيث تقوم أجهزة التكييف بتلطيف درجة حرارته. وقطع « ماجد » الممر بخطوات

سريعة انتهت به إلى مدخل أعرض، وكان هناك باب فولاذي في صدر القاعة، وما ان اقترب « ماجد » منه حتى دوّى صوت هادئ مبرمج يقول « بطاقة الهوية ».

اخرج « ماجد » من حافظته بطاقة خضراء صغيرة تحوي في منتصفها دائرة ضيّقة طُبع فوقها رسم لنسر شامخ الأنف وهو يتهيأ بجناحيه للتحليق في الفضاء، وكان هذا نفسه هو شعار قسم العمليات الخارجية.

وبركن البطاقة كان مدوّناً بكتابة مغناطيسية اسم « ماجد » ورقمه بملفات الخدمة والفئة الخاضع لها وصورة صغيرة رسمت بالكمبيوتر..

وضع « ماجد » البطاقة في فتحة صغيرة بجدار الباب، على الفور التمعت شاشة تليفزيونية صغيرة بركن الباب وانطبعت فوقها المعلومات التالية : « ماجد شريف » رقم ملف الخدمة (٧٠٠)، الفئة الخاضع لها هي الفئة « أ » والمصرح لها بالقتل أثناء الخدمة واتخاذ القرارات في المواقف الحرجة دون الرجوع للرئاسة.

ثم انطبعت صورة « ماجد » في ركن الشاشة.

انطفأت الشاشة التليفزيونية، وبرزت البطاقة مرة أخرى من الفتحة فتناولها « ماجد »، وجاء الصوت المبرمج يقول « البطاقة صحيحة ».. من فضلك ضع كفّك اليمنى إلى يسار الباب في المكان المخصص.

كان هذا هو ثاني اختبار للتأكد من الشخصية، ووضع « ماجد » كفّه اليمنى في دائرة مضيئة إلى يسار الباب، فانطبعت اصابعه فوق سطح الدائرة المغناطيسية، حيث كانت تنقل في نفس اللحظة بالوسائل الألكترونية المتقدّمة كل ما يتعلّق بصاحب اليد إلى داخل كمبيوتر صغير، فيتم مقارنتها بما هو مبرمج سابقاً عن صاحب اليد والتأكد من شخصيته. وكانت المعلومات المدوّنة في الشرائط الألكترونية المغناطيسية عن « ماجد » تقول بأنه بطل رياضي في أكثر من لعبة، وأنه أتم تدريباً على مستوى عالي في اليابان والصين على بعض الألعاب القتالية « كالكاراتيه » و « الجودو » و « الكونغ فو » بالاضافة إلى الملاكمة والسباحة ورياضة « اليوجا »، وانه يجيد سبع لغات حية ينطقها بلهجة أهلها، وانه يتمتع بسرعة بديهة ورد فعل عاليين أهّلاه ليحتل مكانة مرموقة في القسم الخارجي.. وكانت الدائرة الألكترونية ـــ بنفس الوقت ـــ تقيس ضغطه وتستكشف فصيلة دمه وبصمات اصابعه.

انطفأت الدائرة المضيئة فسحب « ماجد » يده.. كان انطفاء الدائرة يعني أن التأكد قد تم من شخصيته، وانه قد سُمح له بالدخول..

اما لو اكتشف الكمبيوتر أي محاولة لانتحال شخصية أحد عملاء القسم أو أي محاولة للدخول بطريقة غير شرعية، فإن صاحبها سيواجه الجحيم بنفس المكان ولا شك.

انفتح الباب كاشفاً عن قاعة واسعة، وكان هناك بعض العاملين والاداريين بالمكان، ممن حملوا الملفات أو الأشرطة المغناطيسية لينقلوها من مكان لآخر.

لم يلتفت « ماجد » لأحد، واتجه مباشرة إلى حجرة في ركن القاعة وضغط زراً كان يؤدي إلى شاشة تليفزيونية صغيرة بداخل الحجرة تكشف عن الطارق.

ووقف « ماجد » برهة منتظراً وقد تبدى طوله الفارع وجسده القوي المتناسق، وتقلّصت اصابعه القوية في قبضته كأنما تأهّب لمعركة قادمة..

أما وجهه فلم يكن يعكس أي تعبيرات بجبهته الواسعة وفكه العريض وأنفه القوي وعينيه العسليتين شديدتي العمق والفطنة..

انفتح الباب بعد لحظة، وخطا « ماجد » إلى الحجرة الواسعة، والتي كان يجلس في صدرها السيد « م » رئيسه المباشر، بقامته الطويلة ووجهه الهادئ وشعره الأبيض الوقور، وعينيه السوداوين المليئتين بالدهاء والغموض.

نهض السيد « م » محيياً « ماجد »، وأشار له باسماً أن يجلس، وراح يشعل غليونه بهدوء.

انتهى السيد « م » من اشعال غليونه، وأخذ نفساً عميقاً منه ثم قال: ان الموضوع الذي استدعيتك لأجله موضوع عاجل جداً

ويتطلّب أُكبر قدر من سرعة التصرّف والسريّة المطلقة، لأن أي تأخير به قد يعني خسارة غير محتملة.. غير محتملة على الاطلاق.

كان « ماجد » يعرف رئيسه جيداً، خاصة عندما يكون هناك أمر بالغ الخطورة يتطلب تدخّل أحد عملاء القسم الخارجي المسئول عنه، فأنصت بصبر وهو يراقب رئيسه العميل السابق للقسم وهو يخرج أحد الملفات الحمراء من درج مكتبه، ويتصفّحه بصورة سريعة.

كان « م » من أشهر عملاء القسم الخارجي منذ خمسة عشر عاماً، قبل أن يحال إلى العمل الاداري كرئيس لأحد فروع القسم الخارجي الخاص بالفئة « أ » منذ سنوات قليلة، وكان يعتبر أحد أبطال القسم الأفذاذ، وفي أقسام التدريب والدراسة لعملاء القسم الخارجي كانت تُدرّس العديد من عمليات السيد « م » باعتبارها نموذجاً ممتازاً لما يمكن أن يكون عليه العمل الكامل لعملاء القسم.

وكان « ماجد » يطمح كثيراً في أن يحدث له نفس الشيء عندما يتقاعد إلى العمل الاداري.. وكان السيد « م » يرى أن « ماجد » هو خليفته القادم إلى رئاسة قسم العمليات الخارجي.

تحدث السيد « م » أخيراً فقال : أنت تعلم يا « ماجد » درجة ثقتي بك وبكفاءتك التي أبرزتها في مهام كثيرة سابقة قمت بها بامتياز أدهش الكثيرين حتى من زملائك أعضاء هذا القسم والأقسام الأخرى، ومن أجل هذا اخترتك لهذه المهمة

الصعبة.. لأنني أعلم تماماً أن أحداً آخر سواك لا يصلح لها، فانك ستواجه هذه المرة عدواً غير عادي على الاطلاق.. عدواً لم تجابهه من قبل.

تساءل « ماجد » بعيون ضيّقة : هل العدو خطر إلى هذا الحد؟

قال « م » بغموض : نعم.. انه خطر جداً.. أخطر مما يظن أي انسان.. بالاضافة إلى أنه عدو رقيق جداً.

قال « ماجد » بدهشة : لا أفهم.

قال « م » بعمق : ان العدو هذه المرة هن خمس فتيات.. خمس فاتنات لم تر العين مثيلاً لجمالهن.

ظهرت الدهشة في عين « ماجد » وقال بتعجب: خمس فتيات.. فاتنات؟

أكمل « م » بعد أن أخذ نفساً عميقاً من غليونه : وهنّ أخطر الفتيات على وجه هذه الأرض، فكل واحدة منهن أشبه بفرقة قتال لها من مهارات القتال ما يعجز الوصف عنه.. ومهمتك ببساطة أن تتخلّص من عصابة الفاتنات وتمحوها من الوجود!

* * *

قصة المفاعل الذرّي

انتظر « ماجد » لحظة، وأكمل السيد « م » بعد أن شمله بنظرة طويلة، قال :

ـ سأخبرك بالمسألة من بدايتها.. أنت تعلم أننا صرنا في عالم نووي عماده القوة المدمّرة للقنابل والأسلحة النووية والهيدروجينية، وفي ظل تهديد بحرب الكواكب أو حرب النجوم.. فنحن قد دخلنا عصراً ذرياً بسرعة بالغة وهناك العديد من الدول امتلكت وتمتلك أعداداً هائلة من تلك الأسلحة النووية حماية لأمنها القومي ولامتلاك سلاح رادع يخيف الأعداء فيفكرون ألف مرة قبل أن يفكروا في الهجوم..

ونحن لنا العديد من الأعداء.. أعداء كثيرون بعضهم في صورة أصدقاء، وبعض هؤلاء الأعداء بات يمتلك القوة النووية ويتفاخر بامتلاكها.. ومن هنا كان من الضروري أن نمتلك نفس القوة حتى يخشى اعداؤنا قوّتنا الجديدة فلا يفكرون في استخدام قنابلهم ضدنا.

قال « م » العبارة الأخيرة بقوة وتصميم رجل عركته الأحداث، فقست ملامحه وتصلّبت شفتاه بتعبير صارم قاس.. كأنه يتأهب لأداء مهمة خاصة مما كانت توكل له منذ خمسة عشر عاماً!

وبعد لحظة لانت ملامحه واستعاد هدوءه وهو يقول : وعندما حاولنا الحصول على القوة النووية وجدنا كل الطرق مسدودة في وجوهنا.. فان النادي النووي العالمي، وأقصد به دول العالم الكبرى التي تمثل السلاح النووي، هذا النادي يفرض حصاراً على العالم، بحيث لا يتيح لغيره أن يمتلك ما يمتلكه من قوة، هذا بالاضافة إلى أن أعداءنا لهم الكثير من الأصدقاء في النادي النووي العالمي، ممن يهمهم ألا نمتلك القوة النووية أبداً.

هز « ماجد » رأسه بصمت وبطء وعيناه مركزتان على رئيسه، ولم يشأ أن يقاطعه مستفسراً عن علاقة النادي النووي العالمي بالفاتنات الخمس، فلا شك أن السيد « م » سيأتي إلى تلك الصلة سريعاً.

واصل « م » : هذا الرفض الذي لاقيناه من النادي النووي العالمي لم ييئسنا، بل زاد من اصرارنا على امتلاك القوة النووية، وأنت تعلم أن لدينا العديد من الخبراء النوويين في مصر والعالم وهم قادرون على تشغيل أي مفاعل نووي، ولكن ليس لدينا الخبرة في بناء مفاعل نووي لانتاج القنابل الذرية..

ومن هنا كان لا بد لنا من الاستعانة باحدى الدول المتقدّمة في هذا المجال، والتي تربطنا بها صداقة حقيقية لتقيم لنا أول المفاعلات النووية، على أن يتم ذلك بسرية تامة حتى لا نعرقل مشروعنا لأي سبب.

أشعل « م » غليونه مرة أخرى بطريقة عصبية، كان واضحاً أن التدخين بات يضايقه ولكنه يفعل ذلك ليعطي لنفسه فرصة لترتيب أفكاره وتقليل حدّة التوتر في المكان.

وأكمل بعد لحظة : بدأنا هذه الخطة في اتصالاتنا بالدول النووية الصديقة منذ ما يقرب من عامين.. في البداية اتجهنا إلى « فرنسا »، وفي سرية تمت الاتصالات، وبعد جهد وافق المسئولون وبدأت الاستعدادات لانشاء أول مفاعل نووي مصري بيننا وبين الخبرة الفرنسية الممثلة في احدى كبريات الشركات الفرنسية ذات الخبرة في هذا المجال.. لولا أن حدث شيء لم نضعه في حسباننا.

— ما الذي حدث يا سيدي؟

تساءل « ماجد » بشيء من التقطيب.

رد « م » بهدوء : مجموعة من الانفجارات الغامضة حدثت في مقر الشركة وبعض فروعها ومصانعها في فرنسا فألحقت بها الضرر التام، وراح ضحيتها عدد من موظفي وفنيي

الشركة.. وهكذا وصلت رسالة الأعداء إلى المسئولين الفرنسيين فألغوا المشروع وسحبوا موافقتهم السرية.

ماجد: اذن فقد اكتشف الأعداء ما نسعى اليه؟

« م »: هذا بديهي وإلا ما هو تفسيرك لتلك الانفجارات التي ألحقت أشد الضرر بتلك الشركة العملاقة.

وأخذ نفساً عميقاً من غليونه ثم أكمل: بعدها، وفي سرية أشد قمنا باتصالات مع دولة صديقة أخرى، وبعد جهود مضنية وافق المسئولون في « السويد » على بناء المفاعل النووي على أن يتم الأمر بأقصى قدر من السرية.

تساءل ماجد: وهل حدث نفس الشيء للشركات « السويدية »؟

رد « م »: تماماً.. مجموعة أخرى من الانفجارات الغامضة دمّرت عدداً من الشركات التي كان من المحتمل أن تقوم ببناء مفاعلنا النووي مع سقوط عدد من الضحايا.. واتجهنا إلى « النمسا » فحدث نفس الشيء.. وهكذا بات مشروعنا كمحاولة يائسة لاقامة قصور من رمال الشاطئ سرعان ما تتهاوى مع أول موجة بحر.

قال « ماجد » بهدوء: لا أظن أن حكومتنا استسلمت للأمر يا سيدي.

« م »: هذا صحيح.. انها مسألة حياة أو موت ولا يمكن أن نتخلّى عن هذا المشروع مهما واجهنا من مشاكل وتعقيدات..



ولهذا اتجهنا إلى الدولة الأخيرة وهي « اسبانيا » ونحن نأمل أن تساعدنا في بناء المفاعل، ما لم يحدث ما لا تحمد عقباه.

— هل تمت الاتصالات والموافقة من المسئولين الأسبان؟

— نعم لقد حدث هذا والاتفاقية السرية توشك أن توقع.

تساءل « ماجد » بدهشة : ولكن « اسبانيا » ليست عضواً في النادي النووي العالمي؟

رد « م » : هذا صحيح ولهذا التجأنا إليها مؤخراً.. أنت تعلم أن اتصالاتنا بالدول الثلاث الأولى الأعضاء في النادي النووي العالمي انكشفت كلها، وارجع خبراؤنا هنا اكتشاف هذه الاتصالات بالنشاط الذي يتبع اتصالاتنا بتلك الحكومات وسفر الخبراء النووين من هذه الدول إلينا لمعاينة موقع واشتراطات الأمان للمشروع، ولا بد أن هذا لفت انتباه الأعداء ولا شك، ولذلك قاموا بتفجيراتهم في الوقت المناسب ليجهضوا المشروع في كل مرة قبل بدايته كنوع من الارهاب لهذه الدول وهو ما حدث بالفعل فانسحبت من المشروع.

— ولهذا التجأنا إلى « اسبانيا » لأن الأعداء لن يخطر ببالهم تعاون « اسبانيا » معنا لأنها ليست عضواً في النادي النووي العالمي.

ـــ هذا صحيح، وان كان لدى الأسبان خبرة بالمفاعلات النووية السلمية وهو ما طلبت بناءه، ويؤكد خبراؤنا أن باستطاعتهم تحويله إلى مفاعل للقنابل النووية بعد وقت، ونحن لا نريد أكثر من ذلك، ولكن..

توقف « م » عن الحديث وداعب خصلات شعره البيضاء، كان واضحاً أن هناك ما يُقلقه بالتأكيد.

وتساءل ماجد : هل اكتشف الأعداء هذه الاتصالات أيضاً؟

« م »: أظن ذلك وأكاد أجزم أنهم ينوون التحرك للضرب قريباً.. ضربة قاتلة تحت الحزام كعادتهم.

ـــ وكيف تأكدتم يا سيدي؟

بهدوء قال « م » : هناك قاعدة ذهبية في عملنا تقول « تعلم من أخطائك »، ولا بد أنه كان هناك خطأ ما تسبب في كشف اتصالاتنا المرة الأولى بالفرنسيين، ثم تنبه الأعداء وراحوا يراقبون خطواتنا في كل أرجاء العالم المتقدم فأجهضوا ثلاثة محاولات لنا.. وبلا شك فإن كثيراً من مسؤولية كشف هذه الاتصالات ترجع إلى الدول الصديقة التي اتصلنا بها والتي لم تراع السرية المطلقة، وهذا الأمر لا يمكننا السيطرة عليه وخارج عن ارادتنا، إلا أن واجبنا هو أن نعرف من أين تأتي هذه الضربات، ومن هو المسئول عن هذه

الانفجارات المدمّرة التي حدثت في الدول التي كانت تنوي مساعدتنا.. ان معرفة مكان الأصابع القاتلة ومخابئها يضمن لنا أن نضعها تحت المراقبة، بل وأن نقوم بتقليمها أو حتى بترها في الوقت المناسب، قبل أن تفسد بقية اتصالاتنا.

— وهل اكتشفتم هذ الأصابع القاتلة؟

— أظن ذلك.. اننا متأكدون بنسبة لا تقل عن ٩٩ في المائة.

ووضع « م » يده في درج مكتبه.. وتوقع « ماجد » ما سيخرجه رئيسه.. صور الفاتنات الخمس.

تأمل « ماجد » الصور بوجه ثابت خال من أي انفعال أو عاطفة، كانت الصور أمامه تحمل خمسة وجوه لخمس فاتنات كل منهن تصلح لأن تكون ملكة لجمال العالم.. ملامحهنّ فاتنة رائعة التكوين تقطع باستحالة تورط هؤلاء الحسناوات في أي عمل ارهابي.

غير أن « ماجد » بحكم عمله وخبرته كان يدرك أن صاحبة الجمال الفائق هي أكثر السيدات استعداداً لتكون جاسوساً ناجحاً وشديد الخطورة.

وفي ظهر كل صورة كتبت نبذة صغيرة عن صاحبتها، الأولى ألمانية تدعى « باتريشا هولم » وهي خبيرة في زرع القنابل والمتفجرات، وهي المسئولة عن قتل ما يزيد على عشرين شخصاً في الشركات الثلاث التي زرعت متفجراتها بها، وكان لها شعر

أصفر ووجه صغير. والثانية انجليزية تدعى « كريستينا » وهي خبيرة اتصالات وتفجير عن بُعد، والثالثة سويدية تدعى « اجنيتا » وكان وجهها اشقر مليئاً بالنمش وشعرها مقصوص جرسون حول وجهها وهي خبيرة في استعمال المسدسات والرشاشات، والرابعة كوبية سمراء تدعى « كاري » ذات شعر أكرت أسود قصير وهي خبيرة في اصابة الهدف بالخناجر من أي مسافة.

أما الخامسة فكانت صينية تدعى « لو » وكان لها وجه صغير دقيق الملامح وشعر أسود طويل يصل إلى ما تحت كتفيها، وكانت خبيرة في كل الألعاب الصينية القديمة مثل « الكاراتيه » و « الكونغ فو » و « المصارعة »، وحاصلة على عدة بطولات عالمية في هذه الألعاب.

رد « ماجد » الصور إلى رئيسه قائلاً : انها مجموعة من حسناوات الموت، الموت الصاعق بلا شك، ان عدوّنا يجيد اختيار جواسيسه وعملائه ممن لا تتطرق إليهم الشبهات.

« م »: هذا صحيح.. ألن تحتفظ بصورهن؟

ماجد: لقد انطبعت الملامح والمعلومات في ذاكرتي، ولا يمكن لشيء أن يمحوها منها.. إلا إذا مُحيت صاحباتها من الوجود.

قالها « ماجد » بصوت هادئ لا يحمل أقل قدر من الانفعال،

وكان رئيسه يعلم عنه تلك الصفة الرائعة في تحكّمه الشديد بانفعالاته وعواطفه.

طوى « م » الصور الخمس في مظروف صغير وقال : هؤلاء الفتيات يعملن في سيرك يطوف أرجاء أوروبا مع مجموعة أخرى من العاملين ممن لا شبهة عليهم، وهذا السيرك يطلق عليه « سيرك الأصابع الذهبية ».. وكان اكتشافنا لحقيقته بعد أن وقعت الانفجارات الثلاث، وبواسطة أحد رجالنا الأذكياء استطاع أن يلتقط خط سير السيرك وتنقلاته فوجده يظهر في كل دولة من الدول الثلاث قبل وقوع الانفجارات بأسبوعين، ولا بد أن هذين الأسبوعين كانت تقضيهن الفاتنات الخمس في دراسة الأماكن التي سيفجرونها وتجهيز قنابلهنّ وأدواتهن.. حقاً ان لهنّ أصابع ذهبية، ولكن في التدمير.

تساءل « ماجد » ببطء : وهل رحل السيرك إلى « اسبانيا »؟

رد « م » : لقد حل السيرك « بمدريد » منذ أحد عشر يوماً بالضبط.

ونقر « م » بأصابعه فوق مكتبه.. كان باقياً ثلاثة أيام فقط!

قال « ماجد » بهدوء : أظن أن هناك شخصاً سادساً مع هؤلاء الفتيات لتكتمل المجموعة القاتلة.. انه صاحب السيرك فيما أظن، وهو الذي يعطي الأوامر بالرحيل من بلد لآخر.

أومأ « م » برأسه موافقاً وقال : هذا صحيح تماماً.. ان صاحب السيرك هو الضلع السادس في هذه المجموعة الارهابية، وهو هندي متجنّس بالجنسية البرازيلية يدعى « كريشنا هيناري ».. انه ماهر في أعمال الحواة والسحرة على الطريقة الهندية.

ومد « م » إلى « ماجد » صورة كبيرة كان أول ما لفت انتباهه بها وجه الساحر المربع وعيناه الواسعتان الحادتان بعمق كأنّه منوّم مغناطيسي يقوم بتنويم لكل من تقع عيناه على صورته، وكانت له لحية طويلة مهذّبة وحاجبان ثقيلان وعمامة كبيرة.

وضع « م » الصورة مع رفيقاتها وقال : هؤلاء الستة هم المسئولون عن فشل اتصالاتنا في كل مرة وعدم بناء مفاعلنا النووي حتى الآن.

تساءل ماجد : لا بد أنه تم حجز تذكرة لي على أول طائرة إلى « مدريد »؟

— هذا صحيح تماماً.

ومد السيد « م » إلى « ماجد » تذكرة على الخطوط الجوية المصرية وجواز سفر به تأشيرة لاسبانيا لمدة شهر ومدوّن بها اسم « ماجد » وعمله كصاحب شركة « استيراد وتصدير » تعمل في مجال اللحوم.

وقال « م » : ان هناك حجرة محجوزة لك في فندق « البلازا » فترة اقامتك، وأرجو أن أسمع أنباء طيّبة.. ان الخطر سداسي الأضلاع هذه المرة.

قال « ماجد » باسماً : ان بعض العقارب والعناكب لهم ستة أرجل، وبرغم أن لدغة منها قد تكون قاتلة، إلا أنها لا تصمد أمام قدم تطأها في احتقار..

وزادت ابتسامته اتساعاً وهو يقول : لن يطول انتظارك لسماع الأنباء السيئة.. عن الأعداء.

وصافح رئيسه بقوّة ثم التفت مغادراً المكان بهدوء وثقة، ورئيسه يشيعه بنظراته.

• • •

سيرك الأصابع الذهبية

حلّقت الطائرة الجامبو العملاقة فوق مطار « مدريد »، وظهر المطار من أسفل مثل شريط من النور وقد تناثرت باقات الضوء حوله، وتهادت الطائرة في رفق فوق ممر الهبوط هابطة برشاقة.

وفي دقائق كان « ماجد » يشير إلى تاكسي خارج المطار وهو يقول لسائقه بالاسبانية : « بلازا أوتيل ».

لم يكن الفندق بعيداً، وتشاغل « ماجد » بالنظر إلى الحوانيت المضاءة والشوارع الواسعة المزدحمة والوجوه الملوّنة السمراء القريبة الشبه من الملامح العربية.. لقد تركت الحضارة العربية ملامحها وآثارها فوق الحياة والحضارة الاسبانية، بعد أن بقي العرب في « الأندلس » خمسة قرون كاملة.

دخل « ماجد » بهو الفندق، والتقطت أذناه كلمات عربية وانجليزية وفرنسية لسياح من كل الأجناس، ولكنه استعمل الاسبانية وهو يطلب من موظف الاستقبال مفتاح حجرته المحجوزة من قبل.

واستقل المصعد إلى الطابق الثامن عشر حيث تقع حجرته بنهاية الممر، وابتسم لعجوز أمريكية ذات جمال غابر راحت تحملق في ملامحه الوسيمة وجسده القوي المتناسق، وهتفت العجوز في اعجاب شديد : يا الهي.. إنه يبدو أشد وسامة من « كلارك جيبل »!

زم « ماجد » شفتيه باستياء قليل قائلاً : لم يكن « كلارك جيبل » وسيماً يا جدتي إلا للعجائز، ويسوؤني تشبيهك لي به، انني أفضل « مارلين براندو » فهو يبدو رجلاً حقيقياً.

وغادر المصعد في طابقه والعجوز قد تعلّقت ابصارها به بشدّة، كأنها تتمنّى لو عادت بها الأيام أربعين عاماً للوراء.. لا بد أنه كان سيصبح لها شأن مع ذلك الفتى الوسيم!

أخذ « ماجد » حماماً سريعاً أزال عنه عناء السفر، وبدّل ملابسه، فارتدى فانلة بنصف كم خفيفة تناسب جو « مدريد » الحار في مثل تلك الأيام من صيف شهر « يوليو » كما ارتدى بنطلون جينز وحذاءً رياضياً، وكان هناك مسدس من طراز « سميث اند ويسون » ٩ ملم بثماني طلقات وهو من الأنواع التي يفضّلها « ماجد » لخفة وزنه اذ لا يتعدّى ثلاثة أرباع الكيلو غرام بالاضافة إلى بُعد مداه الفعّال وحجمه الصغير نسبياً.. وكان المسدّس مخبّأ بمهارة داخل ركن جهاز التكييف بالحجرة، وحل « ماجد » الجهاز بمهارة ليلتقط المسدس الذي أخبره « م » بمكانه قبل سفره. كان عملاء القسم الخارجي على درجة عالية من النشاط في «مدريد »، ولذلك فضل

« ماجد » الحصول على مسدسه في « مدريد » عن أن يحمله معه من « القاهرة » معرّضاً نفسه لاكتشافه في مطار « مدريد » بأجهزة كشف الأسلحة برغم مهارته في اخفاء أي سلاح، ولكنه كان من النوع الذي لا يفضّل المخاطرة التي لا داع لها.

دس « ماجد » مسدّسه تحت ابطه وارتدى سترة خفيفة ليخفي تحتها المسدس، وغادر حجرته بعد نصف ساعة بالضبط، وسأل موظف الاستقبال عن مكان سيرك « الأصابع الذهبية » فأجابه الموظف بعنوان السيرك في أطراف مدريد.

كان « ماجد » يعرف المكان جيداً، ولم تكن هي المرة الأولى التي يزور فيها العاصمة الاسبانية بل سبقتها زيارات متعدّدة في عمل أو لقضاء اجازة هادئة.

سار « ماجد » خطوات قليلة أمام الأوتيل، كانت هناك بعض النسمات المنعشة، وفضل « ماجد » السير قليلاً قبل أن يستقل تاكسياً، وكان يفضّل، الا يستقله من أمام الفندق لتقليل احتمالات الخطر التي قد يتعرض لها.. كان هذا ضمن الدروس الأوليّة التي يتلقّاها عملاء القسم الخارجي وكافة الأقسام الأخرى عند التحاقهم بالعمل السري في أجهزة المخابرات المصرية.

قطع « ماجد » عدة شوارع في قلب العاصمة.. وأضاءت اشارة المرور الخضراء بالسماح له بالعبور في شارع « الملكة ».

وما كاد يخطو عدة خطوات إلى قلب الشارع حتى زأرت عجلات سيارة أمريكية ضخمة من طراز « فورد » وهي تندفع نحوه كالوحش الهائج.

فوجئ « ماجد » بالحركة مفاجأة تامة، فلم يكن يتوقع أن يأتيه الخطر على هذه الصورة، أو أن تكون مهمته قد انكشفت بمثل هذه السرعة. كان لا يفصله عن السيارة المندفعة نحوه في جنون إلا أمتار قليلة راحت السيارة الضخمة تقطعها بسرعة مجنونة.. ولم تستغرق السيارة للوصول إليه إلا نصف الثانية، ولكن نصف ثانية كانت بالنسبة « لماجد » وقتاً كبيراً..

وبلحظة خاطفة ألقى بنفسه نحو نهاية الرصيف مبتعداً عن السيارة المجنونة، وزأرت السيارة بحركة مباغتة وقد غيّرت اتجاهها مرة أخرى لتحاول أن تصدمه في مكانه الذي سقط فيه، وتنبه « ماجد » للحركة فتدحرج على الأرض بسرعة البرق قافزاً فوق الرصيف، واصطدمت مقدّمة السيارة الضخمة بالرصيف في عنف، ثم علته وانطلقت كوحش مجنون مبتعدة بعد أن هربت منها فريستها.

ونهض « ماجد » سريعاً وهو يتطلع نحو السيارة الهاربة.. كانت أرقامها مطموسة غير واضحة، وكل ما لمحه شعر أشقر لقائدها.. وكان من المؤكد أن هذا القائد ليس سوى واحد من الفاتنات الخمس.. لقد بدأ النضال مبكراً!

تجمع بعض الناس حول « ماجد » يطمئنون عليه فقال باسماً وهو ينفض التراب عن ملابسه : لم يحدث شيء.. من المؤسف أن رجال الشرطة دائماً يختفون عندما يظهر مثل هؤلاء السائقين السكارى.

وابتسم في لامبالاة لدرجة أدهشت من شاهدوا الحادث..

واستقل أول تاكسي مرّ به، وطلب منه التوجّه به إلى « سيرك الأصابع الذهبيّة ».. ولم تمض دقائق حتى وصل إلى مكانه.

هبط « ماجد » أمام السيرك.. وكانت لافتاته المضيئة الباهرة قد أحالت ساحة الميدان الذي أقيم به إلى نهار، وكان هناك صخب وضجيج وموسيقى تنبعث من داخل السيرك، كما كان هناك عدد من العاملين بالسيرك قد وقفوا بملابس المهرجين أمام أبوابه وراحوا يدقّون فوق طبول كبيرة معلّقة في رقابهم بسيور قويّة، أو يقومون بأداء بعض الألعاب البهلوانية، ويدعون الناس للدخول ومشاهدة العرض المدهش.

اقتطع « ماجد » تذكرة بأحد الصفوف الأمامية، وقد لاحظ أن ثمن التذكرة ضئيل بينما المقاعد بداخل السيرك فاخرة، وتجهيزاته الداخلية فخمة تدل على سعة انفاق لا ينتظر تعويضه من تذاكر المشاهدين.. وكان السيرك يتكوّن من خيمة واسعة للألعاب يقع خلفها عدد من الحجرات الخشبية المخصصة لنوم اللاعبين واقامتهم، وكانت كلها من الخشب الفاخر الذي يسهل حلّه وطيّه

ثم اقامته بسرعة في أي مكان آخر. وكان هناك أيضاً عدد من السيارات الضخمة وسيارات النقل التي تحمل ادوات وتجهيزات السيرك في تنقلاته من مكان لآخر ومن بلد لآخر، كما كان هناك عدد من سيارات الاقامة والمعيشة ـــ الكارافانات ـــ والتي تستغل كسكن من الداخل.

كان المكان كله يوحي بالريبة بكل تأكيد، وكان واضحاً انه كلَّف الملايين.

كان العرض قد بدأ منذ قليل، وكعادة أي سيرك كبير كان يفتتح برنامجه بألعاب التهريج والترفيه، وكان هناك بعض البهلوانات بوجوه مصبوغة وملابس مضحكة راحوا يقفزون هنا وهناك ويقدّمون حركاتهم الضاحكة، وكانت الفقرة التالية عرضاً مدهشاً قدّمته مجموعة من الكلاب الصغيرة المدرّبة التي راح بعضها يعزف فوق بيانو صغير وبعضها الآخر يراقص بعضه البعض كما يفعل السادة المهذبون في الحفلات الراقية!

أما بقية كلاب العرض فجلسوا إلى مائدة العشاء مكتفين بالمشاهدة والاستمتاع بالطعام!

وابتسم « ماجد » فقد كانت الفقرة ممتعة لم يشاهدها في أي سيرك من قبل.



وظهر مذيع ببدلة حمراء ليعلن عن فقرة الساحر العالمي « كريشنا هيناري » أعظم سحرة الهند كما وصفه المذيع.

وظهر الساحر الهندي وسط عاصفة من التصفيق.

كان طويلاً، اسمر الوجه، بنفس العينين الواسعتين الحادتين والعمامة الهندية الضخمة برغم ارتدائه لبدلة اسموكن سوداء فاخرة بمعطف طويل ورباط عنق أسود صغير.. وكان هناك سيف عريض يتدلّى من وسطه.

حيا الساحر جمهور المشاهدين بانحناءة قصيرة مهذّبة ثم اتجه إلى منضدة عريضة رصت فوقها بعض الأطباق وبجوارها صندوق كبير كالتابوت وعدد من الصناديق العريضة فوق بعضها.

وبدأ « كريشنا » عرضه المثير.. وراحت عينا « ماجد » تراقبه وترصد أدق حركاته كأنها عينا كاميرا دقيقة.

بدأ « كريشنا » عرضه بفقرة الأطباق الطائرة، فأمسك بأحد الأطباق الصغيرة وألقاه لأعلى فأخذ الطبق يدور في الهواء بسرعة كبيرة في مساحة دائرة واسعة مركزها الساحر نفسه.. وألقى « كريشنا » بطبق ثان وثالث..

وأخذت الأطباق الثلاثة تدور في الفضاء خلف بعضها، كأنها تطارد بعضها بصورة مذهلة، وبدون أن تفقد سرعتها أو تتهاوى فوق حلبة العرض!

وتابع المشاهدون العرض ذاهلين وقد كتموا أنفاسهم الى حين وقف الساحر عاقداً ذراعيه فوق صدره وقد أغمض عينيه وجمد كتمثال برونزي لا حياة فيه.

وتعالى التصفيق الداوي والأطباق الطائرة لا تزال تطارد بعضها صعوداً وهبوطاً كأنها طائرات مقاتلة لمجموعة من الأعداء..

وفتح « كريشنا » عينيه أخيراً واستدار للأطباق ووجه بصره الحاد إليها، وبدا كأنه يوجّه إليها رسالة ما.. وعلى الفور خفّفت الأطباق الطائرة من سرعتها متّجهةً نحو الساحر ليلتقطها واحداً وراء الآخر.. ودوى التصفيق مرّة أخرى..

لم يشغل « ماجد » ذهنه بتفسير ما يرى، كان للهنود حيل عديدة ولا شك أن « كريشنا » ماهر حقاً في مثل هذه الحيل.

وبدأ الساحر فقرته التالية فأمسك بصندوق فارغ أراه للمشاهدين من جميع الزوايا، ثم وضعه فوق الأرض ووقف أمامه يتمتم ببعض الكلمات الغامضة، وصفق بيديه ورفع الصندوق فإذا بأسفله دجاجة كبيرة وست كتاكيت صغيرة!

ودوّى التصفيق مرة أخرى، وكان سهلاً على « ماجد » أن يفسر ما شاهده، فلا بد أن الساحر وضع صندوقه فوق مكان معيّن بالأرض فوق طاقة تفتح من أسفل ليوضع بها الدجاجة والكتاكيت أثناء

تمتمات الساحر لتظهر بعد ذلك عندما يرفع صندوقه ويبدو الأمر كأنما هو سحر.

وأقبلت فتاة نحيلة بشعر أشقر ووجه مستدير في ملابس فضيّة نحو الساحر، فاستلقت في صندوق طويل أمامه، وأغلق الساحر الصندوق ثم أمسك بسيفه المعلّق بوسطه وهوى به فوق الصندوق ففصله إلى جزئين..

كتم المشاهدون أنفاسهم ذعراً وهلعاً.. ومرة أخرى انهال الساحر فوق الصندوق ليفصله إلى ثلاثة أجزاء متباعدة بدت أمام المشاهدين الذين حملقوا في ذعر ورعب في الصندوق المحطّم..

وابتسم الساحر وهو يراقب جمهوره وأشار إلى عدد من مساعديه فراحوا يساعدونه في ضم أجزاء الصندوق إلى بعضه، ووقف « كريشنا » لحظات وهو يتمتم بتعاويذه بعيون مغمضة، ثم أشار بيده في قوة نحو الصندوق، وبنفس اللحظة انفتح بابه لتخرج منه الفتاة ذات الرداء الفضي سليمة باسمة لا سوء بها.

تعالى الصفير والتصفيق فهز أركان السيرك..

وانحنى الساحر مرة أخرى لمشاهديه، وعندما رفع وجهه اصطدمت عيناه بعيني « ماجد ».. بدت الحركة لو كانت عفواً وبلا قصد، ولكن « ماجد » أحس من عمق النظرة وقوّتها أنها تعني شيئاً ما.. شيئاً مؤكّداً ينذر بالخطر.

كانت عينا الساحر قاسيتين متجهّمتين، زادتهما تقطيبة وجهه المريع سواداً وقسوة.. وبرغم بُعد المسافة إلا أن « ماجد » تأكد أن النظرة موجّهة إليه هو.. وبهدوء سيطر على أعصابه كي لا تفصح ملامحه عن شيء..

لقد كشف الساحر الهندي عن احدى أوراقه وعلى « ماجد » ألا يكشف أياً من أوراقه، انه حتى هذه اللحظة ليس إلا رجل أعمال جاء في بعض شئون عمله.. أما عندما تحين ساعة العمل فسيعرف الجميع أي رجل خطر هو يكون.. لقد تأكد له أن الحادثة التي تعرض لها بالخارج لم تكن مصادفة بأي حال من الأحوال، لقد علم اعداؤه أنه أتى يسعى لتدميرهم فبدأوا العمل مبكراً.

استمرت نظرات « كريشنا » لحظة خاطفة ولكنها كانت محملة بالمعاني الكثيرة، ثم استدار الساحر ليغادر الحلبة ويختفي خلف الستار على حين قام مساعدوه بحمل أدواته بعيداً.

وأحس « ماجد » أن اللحظة الحاسمة تدنو..

وبالفعل ظهر المذيع ذي البدلة الحمراء وقال بصوت هادئ: والآن سيداتي سادتي نقدّم لكم أخطر فقرة في برنامجنا، « اللعبة القاتلة » والتي تقدّمها لكم أجمل فتيات العالم.. وأكثرهنّ شجاعة وجرأة.

ودوّى التصفيق مرة أخرى وأحنى المذيع رأسه للجمهور وانسحب خارجاً..

ودقت الطبول بقوة وعزفت الموسيقى بشدة.. وساد قلب الخيمة مكان العرض ظلام دامس..

وابتسم « ماجد » ابتسامة واسعة.. ها هنّ الحسناوات الخمس على وشك الظهور..

وفكّر في أنه لا بد وأن تكون « اللعبة القاتلة » عرضاً مدهشاً ورهيباً بدون أدنى شك.

وظهرت الفاتنات الخمس أخيراً وقد سُلّطت عليهن الأضواء الملوّنة المركّزة من سقف خيمة السيرك الكبيرة، فبدون مثل خمس ملكات لجمال العالم في استعراض مهيب.. وحبس المشاهدون أنفاسهم لشدّة الاثارة والاعجاب.

° ° °

اللعبة القاتلة

كانت الفتيات الخمس فاتنات حقاً.. أبدان متناسقة ووجوه دقيقة جميلة، وكن جميعاً يرتدين زياً واحداً أزرق اللون من اللدائن المطاطية التي تسهل حركتهن.. ورحن يتطلّعن إلى الجمهور باسمات ويلوّحن لهن في براءة وقد تعالى التصفيق من كل مكان..

وبدأت « اللعبة القاتلة ».

كانت بداية اللعبة رهيبة حقاً ذكرت « ماجد » على الفور بما كان يمارسه أفراد العصابات في « فيتنام » ضد من يأسرونهم من أفراد القوات الأمريكية التي كان يوقعهم سوء حظهم في أيدي هؤلاء الثوار فيواجهون أبشع مصير.

استلت السويدية الشقراء « أجنيتا » غدارة ثقيلة من طراز « ماغنوم ٢٩ » من جراب بوسطها ووضعت رصاصة واحدة بمخزنها، ثم أدارت قرص المخزن عدة مرات متتالية. وصوبت « أجنيتا » غدارتها نحو الألمانية « باتريشا »، وحبس المشاهدون

أنفاسهم ترقباً، وضغطت « أجنيتا » على الزناد فسُمعت تكة صغيرة ولم تنطلق الرصاصة.. ومرة أخرى ضغطت « أجنيتا » على زناد الغدارة فسمعت التكة الضعيفة.. وتوتّرت أعصاب المشاهدين وساد صمت عميق.. وضغطت « أجنيتا » على غدارتها للمرة الثالثة فدوّى صوت الرصاصة، وصرخ المشاهدون من الذعر ولكن الألمانية قفزت بلحظة خاطفة، بأسرع من انطلاقة الرصاصة لتبتعد عن مسارها، وارتطمت الرصاصة بحائط في الخلف واستقرت به ودوى التصفيق..

وجاء دور بقية اللاعبات

عصبت الصينية «لو » عينيها بقطعة قماش ثقيلة ووقفت متأهّبة..

وألقى أحد المساعدين إلى الكوبية السمراء « كاري » بسيف رهيب ذي نصل حاد متألّق تلقّته بساعد قوي.. ودارت المعركة..

معركة بين الكوبية السمراء بسيفها المخيف، وبين الصينية المعصوبة العينين لتدافع عن نفسها بالألعاب الصينية بلا سلاح.

كانت المعركة مذهلة.. هاجمت « كاري » رفيقتها بسيفها ولكن « لو » تفادت الضربة القاتلة كأنها تراها.. ومرة أخرى هاجمتها « كاري » ولكن « لو » انحرفت عن مسار السيف الرهيب وضربت « كاري » بقدمها في وجهها..

وسقطت « كاري » على الأرض ثم عادت لتقفز واقفة، وصرخت بقوة واندفعت كالسهم نحو « لو ».. وبقيت « لو » هادئة صامتة

والسيف يكاد يشق قلبها.. وفي الجزء الأخير من الثانية، وقبل أن ينغرز نصل السيف بكل قوته في صدرها انحنت يساراً بقدمها اليمنى وضربت اليد الممسكة بالسيف فأطاحت به، وباليسرى سدّدت ضربة إلى بطن « كاري » ألقتها إلى الوراء مترين.

ودوّى تصفيق رهيب.

وحلت الصينية عصابتها.. ووقفت مع زميلتها الكوبية تتلقّيان التحية باسمتين، كأنهما لم تقدّما لعبة رهيبة كادت كل منهما تلقى فيها حتفها.

وبدأ الجزء الثالث والأخير من اللعبة القاتلة.. أخطر جزء في اللعبة.

وقفت الانجليزية « كريستينا » أمام لوحة دائرية وقيّدت يديها وقدميها إليها.. ووقفت الكوبية « كاري » على مسافة أمتار قليلة وقد تمنطقت بحزام به عشرة خناجر صغيرة حادة كالسهام..

وتقدّمت « باتريشا » فعصبت عيني « كاري »، وبعد أن أتمت ذلك أشارت بيدها فبدأت اللوحة الدائرية المقيّدة بها « كريستينا » في الدوران بسرعة حول نفسها. وكان على « كاري » أن تصوب خناجرها إلى اللوحة الدائرية المتحركة.. بدون أن تصيب رفيقتها!

حبس المشاهدون أنفاسهم وهم يراقبون حركة أصابع « كاري » وهي تمسك بالخنجر وترفعه بين أصابعها خلف كتفها متأهّبة وتنتظر برهة، ثم تصوّبه نحو الدائرة المتحركة في سرعة وخفة.

وانغرز الخنجر على بعد مليمترات قليلة في عنق « كريستينا »، وتعالت آهات المشاهدين..

وانغرز الخنجر الثاني على نفس المسافة من ذراع « كريستينا ».. والثالث كاد أن يمس ساقها.. وتوالى القاء الخناجر نحو الدائرة المتحركة..

راقب « ماجد » الكوبية بتمعّن شديد وهي واقفة في الحلبة لا يفصله عنها إلا أمتار قليلة تتيح له مراقبتها بدقة.. كانت ماهرة ولا شك.. ربما أمهر من صادف في حياته برمي الخنجر، وكانت تشكّل هي ورفيقاتها مجموعة حقيقية للموت.. مجموعة من الصعب بل يكاد يكون من المستحيل التصدّي لها..

أتمت « كاري » رميتها الثامنة بنجاح.. ولم يتبق لها سوى رميتين أخيرتين..

وبسرعة امتدت أصابع « كاري » نحو الخنجر التاسع ورفعته فوق كتفها، ليشق الفضاء وينغرز وسط شعر « كريستينا »..

وصرخ جمهور المشاهدين، ولكن ابتسامة « كريستينا » فوق اللوحة الدوارة طمأنتهم إلى أنها لم تصب بأذى وأن الخنجر لم يمس رأسها.. وارتسمت ابتسامة واسعة على شفتي « كاري » وأشارت بيدها فزادت سرعة اللوحة الدوارة بشدّة.

وامتدت أصابع « كاري » نحو الخنجر العاشر في حزامها.

كان هناك شيء ما في حركتها.. شيء مختلف عن كل مرة.. أحس « ماجد » بذلك وهو يراقب طريقة امساك اصابع الكوبية السمراء للخنجر.. ورفعها له ببطء.. ثم اتجاه اصابعها بالخنجر خلف كتفها في سرعة وقوة وتصميم..

وشق الخنجر طريقه في الهواء كالسهم.. ليس إلى اللوحة الدائرية المتحركة بسرعة مجنونة بل إلى الخلف.. إلى صدر « ماجد » بالضبط!

لم يستغرق خروج الخنجر من أصابع « كاري » ووصوله إلى هدفه النهائي بدقة رهيبة إلا أجزاء من الثانية.

ولكن هذه الأجزاء كانت كافية « لماجد » ليقوم برد فعله، وبلحظة خاطفة ألقى بنفسه من مقعده إلى الأرض لينغرز الخنجر في منتصف ظهر مقعده إلى اليسار قليلاً.. في موضع القلب تماماً!

شهق المشاهدون ذعراً وتوقفت اللوحة الدوّارة عن حركتها وسكتت تماماً، وأزاحت « كاري » العصابة عن عينيها بوجه شاحب.. كانت تبدو مذعورة ملتاعة لا تدري كيف أخطأت فانطلق خنجرها الأخير إلى الخلف بدلاً من الأمام ولا أين استقر.. كانت ممثلة بارعة بجانب كونها رامية خنجر ماهرة، وظهر في عينيها ذهول شديد لأن « ماجد » استطاع تفادي الخنجر القاتل.

وانتزع « ماجد » الخنجر الذي انغرز لآخره في مقعده، وتقدم

إلى وسط الحلبة من « كاري » وقال باسماً : أهذا ما تبحثين عنه يا فاتنتي السمراء؟

وساد الصمت الثقيل فوق رؤوس المشاهدين وحبسوا أنفاسهم إثارةً مما يشاهدون..

اتسعت عينا « كاري » بدهشة كبيرة، لقد قدّرت وقاست المسافة جيداً قبل أن تصوّب خنجرها، وهي لا يمكن أن تخطئ هدفها ولو بجزء من السنتيمتر، ولكن ها هو عدوّها ماثلاً أمامها بوجه متألّق باسم كأنما لم يكن خنجرها سيشقّ صدره منذ ثوان.

قالت « كاري » بوجه شاحب : انني آسفة يا سيدي.. لا أدري كيف حدث ذلك؟

رد « ماجد » بابتسامة رائعة : لا عليك أيتها الحسناء.. من حسن حظي أنني انحنيت أسفل مقعدي للبحث عن تميمتي الضائعة عندما مزّق خنجرك ظهر مقعدي.. مكان القلب تماماً..

همست « كاري » بصوت واهن : انني آسفة حقاً..

رد « ماجد » باسماً : لم يحدث شيء.. من حسن حظي أن تميمتي كانت معي.. بوجودها لا يمكن لأي خطر أن يتهددني.

ونظر بقوّة في عينيها السوداوين الواسعتين.. ولمح اضطراباً خفيفاً في أهدابها كأنها لا تحتمل قوة نظرته.

واستدار « ماجد » ببصره فشاهد بقية فتيات الموت يتطلّعن نحوه في صمت وكراهيةٍ.. « باتريشا ».. « كريستينا ».. « اجنيتا ».. « لو ».. كانت نظراتهن مثل جمر متّقد، ولعلهن كن يتمنين لو لم يكن هناك مثل هذا الجمهور الكبير ليندفعن إلى معركتهن الأخيرة مع « ماجد » الذي جاءت الأوامر بالتخلّص منه بأي وسيلة، والذي ينجو من الموت في كل مرة كما لو كان هناك ملاك حارس ينقذه في اللحظة الأخيرة.. وتساءل « ماجد » وهو يراقبهن، ترى من منهن هي التي حاولت قتله بالسيارة الأمريكية وسط « مدريد » منذ ساعات؟

ومن خلف الستار لمح « ماجد » الوجه المربّع القاسي والعينين الواسعتين الداهيتين للساحر الهندي وهو ينظر نحوه بكراهية شديدة..

لقد خطا إلى عرين الأسد بقدميه وهو ما يفزع أشد الرجال شجاعةً.. ولكن « ماجد » لم يكن من ضمن صفاته الخوف أبداً.

وهتف « ماجد » إلى الفتيات الخمس قائلاً : لقد اسعدتني رؤيتكن.. ويجب أن تثقن أننا سنتقابل ثانية.. وستكون الظروف وقتها أفضل بلا شك..

وغادر الحلبة والفاتنات الخمس يراقبنه بوجوم، وشق « ماجد » طريقه وسط الجمهور الضخم الذي راح يصفق له.. وعلى باب السيرك جاءه صوت يناديه : أنت أيها الوسيم!

التفت للخلف، كانت عجوز الأوتيل التي شبهتـه « بكـلارك جيبل »!

هتفت العجوز بكلماتها غير الواضحة : كنت رائعاً.. لقد شاهدت كل شيء من مقعدي.. انك تبدو خارقاً مثـل « شيـن كونري » في أفلام « جيمس بوند ».

ابتسم « ماجد » ابتسامة واسعة وقال للعجوز : لقد اصبت الحقيقة هذه المرة يا جدتي.. لعلني أشبه « جيمس بوند »، ولكن هناك فرقاً وحيداً بيننا، وهو أن « جيمس بوند » شخصية خيالية.. أما أنا فلا!

وتركها وغادر المكان، وهو متأكد أن هناك ستة عقول جهنميّة قد بدأت تخطط للقضاء عليه بألف وسيلة، وبأسرع ما يمكن.

* * *

فخ الثعالب

كان الوقت بعد منتصف الليل بساعتين، وقد اطفأ السيرك أنواره الخارجية ولم يبد هنا وهناك إلا بضعة أضواء شاحبة متفرّقة.

كان المكان ساكناً.. وخطا شبح حذر بين حجرات اللاعبين والعاملين والتي سادها السكون والظلام.

كانت حركة الشبح مثل خطوة « قط » ماهر متلصص للهرب من عشرات الحراس الذين راحوا يدورون حول السيرك لحراسته وهم مدجّجون بالسلاح كأنهم حراس ثكنة عسكرية..

ولم يكن تسلل الشبح إلى السيرك برغم الحراسة أمراً صعباً فقد كان معتاداً عليه ومارسه عشرات المرات من قبل..

اقترب الشبح المتلصص من حجرة مضاءة.. ومن نافذتها الزجاجية الضيّقة لمح الشبح ستة أشخاص جالسين يتحدّثون في غضب وعنف..

أحدهم كان الساحر الهندي وكان يلوّح بيديه في غضب وقد التمعت عيناه ببريق مخيف، أما الخمس الباقيات فكن فاتناته أصحاب « اللعبة القاتلة »

ولم يكن الشبح إلا « ماجد »، فهو عندما غادر السيرك منذ وقت، اختفى في مكان ما وانتظر حلول الظلام على المكان وعاد متلصصاً.. وكان أول ما بحث عنه هو السيارة الأميركية الكبيرة التي حاولت قتله مساء نفس اليوم، فقد كان يريد أن يتأكد بنسبة مائة في المائة، وبالفعل شاهد « ماجد » سيارة مشابهة بأحد أركان السيرك، وعندما تفحّص مقدّمتها المنبعجة تأكد أنها نفس السيارة التي حاول قائدها قتله.

وعاد « ماجد » يراقب الجالسين بالحجرة المغلقة.

كان من الواضح أن الساحر الهندي مهتاج غاضب، وإن لم يصل إلى أذن « ماجد » أي كلمة مما يقوله.. وبخفة أخرج جهازاً صغيراً وضعه في ركن النافذة الزجاجية وأوصله بسماعة صغيرة إلى أذنيه فوصلت الكلمات إليه واضحة.

كان الساحر يقول بغضب : لقد أخطأت يا « كاري ».. ليس من عادتك أن تخطئي هذا الخطأ القاتل.

وردت الكوبية بعنف : لم يكن الخطأ خطأي، لقد شاهدت بنفسك موضع الخنجر في ظهر مقعده، لقد كان مكان القلب تماماً.

غمغم الساحر ساخطاً : اللعنة على هذا المصري، لقد سبب لي صداعاً.. لقد جاء تأكيد مرة أخرى بالتخلّص منه.. انهم قلقون بشدّة لبقائه على قيد الحياة حتى تلك اللحظة، وعندما أخبرتهم بفشل محاولتنا الأولى لقتله قالوا بأننا لم نعد نُحسن عملنا.

هتفت « باتريشا » بغضب شديد : دعهم يقولون هناك ما يشاؤون.. لو تدري كيف حاولت قتله بسيارتك الغبية ما كنت لمتني أبداً.. لقد قفز كالشيطان مبتعداً عن السيارة، ولا أدري حتى الآن كيف أمكنه امتلاك مثل هذه السيطرة على نفسه ورد الفعل الخارق، لقد اقتحمت الرصيف خلفه ولكنه تدحرج مبتعداً كأبرع بهلوان شاهدته في حياتي، إن لم يعجبهم عملنا فليرسلوا غيرنا لادائه.

رفع « كريشنا » يده مهدئاً لها وقال : دعونا من الغضب فهو يفسد عملنا.. يجب أن نفكر في هدوء كيف نصطاد هذا المصري ونتخلّص منه..

لقد جاءت الأوامر بالتبكير في الانفجارات المعتادة هذه المرة ولذلك سنقوم بعملنا غداً، ولكن وقبل أن نتحرّك خطوة واحدة علينا بالتخلّص من هذا المصري كما قالت الأوامر الصارمة.. لقد وضعت خطة للتخلّص منه وسوف أخبركم بها..

أنصت « ماجد » بشدة.. وقبل أن ينطق الساحر الهندي وصل إلى أذنيه صوت ما، كان ثمة شخص يقترب من المكان، وبسرعة انتزع « ماجد » السماعة وجهاز التنصّت الصغير وألقى بها في جيبه، وبخطوتين سريعتين كان قد ابتعد عن المكان واختفى خلف جدار حجرة قريبة..

وشاهد من مكمنه بعض حراس السيرك وهم يمرون عن قرب، ولو كان قد انتظر لحظة واحدة لشاهدوه وافتضح أمره.

التقط « ماجد » أنفاسه، لم يكن يرغب في أن يعكر شيء ما أحداث الليلة، وكان يريد أن يتصنّت على الخطة التي وضعها « كريشنا » للتخلّص منه، فإن هذا سيسهّل له التصدّي لها وافسادها.

وابتعد الحراس وعاد السكون يشمل المكان، واقترب « ماجد » من حجرة الساحر مرة أخرى.

وبسبب الظلام داس « ماجد » على سلك صغير مثبت فوق الأرض، وقبل أن ينتبه إليه انطبق فخ قوي مما يستعمل لصيد الثعالب على قدمه اليمنى وانغرزت سنونه الحادة في لحمه..

أحس « ماجد » بألم رهيب وخشي أن يكون الفخ متصلاً بآلة تنبيه فسرعان ما يهرع إلى المكان عشرات الحراس ليجدوه فريسة سهلة بين أيديهم.

وكان عليه أن يتخلّص من الفخ بأسرع ما يستطيع..

كان الألم شديداً وكان أول ما فكّر به « ماجد » هو التخلّص من احساسه بالألم قبل أن يشرع في العمل..

كان عليه أن يصفو بذهنه.. ويحلّق في سموات أخرى غير عالمه البدني الضيّق..

وكانت « اليوجا » وسيلته.. ثوان.. ثوان قليلة وقد بدأ ذهنه يصفو واحساسه بالألم يقل وليس هناك من علامات الألم سوى بضعة قطرات من العرق لمعت على جبهته..

وعندما اختفى احساسه بالألم كليّةً بدأت اصابعه المدرّبة القوية في العمل..

كان الفخ قوياً من الصلب وقد أطبق على قدم « ماجد » في استماتة، ولكن أصابع « ماجد » كانت لا تقل عن الصلب قسوة وصلابة.. وبجهد خارق نجح في توسيع فك الفخ وابعاد سنونه عن قدمه الجريحة..

وما كاد يفعل ذلك حتى سمع عشرات الخطوات المهرولة.. وبخفة النمر قفز مبتعداً.. وسرعان ما فتح الساحر باب حجرته وظهرت خلفه الفتيات الخمس، وهتف الساحر بغضب متسائلاً : ماذا حدث؟

رد رئيس الحراس وهو يتفحص المكان بدهشة : يبدو أن جهاز

الانذار المتصل بالفخ المثبت أمام حجرتك يا سيدي قد أصابه عطل فانطلق بدون أن يقبض الفخ على شيء.

ضاقت عينا « كريشنا » وظهرت الريبة فيهما، وانحنت الانجليزية « كريستينا » فوق الفخ فلمست اصابعها شيئاً لزجا.. قطرات دماء.

وبهدوء رفعت عينيها الى الواقفين قائلة: لقد أمسك الفخ بمتسلل.. ولكنه هرب في اللحظة المناسبة..

هتف رئيس الحراس مستنكراً: مستحيل أن ينجو شخص من مخالب هذا الفخ بمثل هذه السرعة.

جز « كريشنا » على أسنانه قائلاً: هناك شخص وحيد يستطيع أن يفعل ذلك.. ومن المؤكد أنه كان هنا منذ قليل.

• • •

عاد « ماجد » الى حجرته.. كان احساسه بالألم في قدمه قد بدأ يعاوده.. وكان أكثر ما يضايقه في مهمة الليلة ان فشل في معرفة الخطوة التالية لفتيات الموت وزعيمهن الساحر.

وفي حجرته بالطابق الثامن عشر عالج قدمه المصابة.

وأحس بقليل من التعب فأطفأ ضوء حجرته وتمدد فوق فراشه وغرق في النوم.

• • •

تسلّل الشبح المتسربل بالسواد إلى ردهة الفندق الهادئ وقت الفجر في حذر شديد.. وأخرج من جيبه مفتاحاً غريب الشكل يمكنه أن يفتح أي حجرة (ماستركي).. وفي هدوء ودراية عالج قفل الحجرة الأخيرة في الردهة فانفتح في يسر.

ودخل الشبح المتلصص إلى الحجرة.. ولم ينتظر الشبح وقتاً فأخرج من جيب سترته صندوقاً صغيراً في حجم علبة السجائر يعلوه من الجانب ساعة صغيرة تم ضبطها لتنفجر بعد دقيقتين بالضبط.

وفي هدوء وضع الشبح القنبلة الموقوتة أسفل فراش « ماجد » الغارق في نومه، وألقى نحوه نظرة أخيرة أودعها كل حقده، ثم غادر الحجرة وأغلق الباب خلفه بنفس الهدوء.

وعلى الفور استيقظ « ماجد ».. كان هناك ثمة خيط رفيع ممتد ما بين نهاية الباب وطرف اصبعه تحت الغطاء، فما أن ينفتح الباب حتى يجذب الخيط اصبعه فيستيقظ على الفور.. طريقة بدائية ولكنها فعّالة.. كان دائماً يحب الطرق البسيطة التي جرّبها من قبل عشرات المرات بنجاح عظيم!

وعندما كان الشبح يضع قنبلة تحت فراش « ماجد »، كان الأخير يحسّ بكل حركة، ولم يشأ مقاومة الشبح بل تركه يمضي في مهمته، فقد بنى هو الآخر خطّته على ايهام الشبح بنجاح مهمته.

وما ان انغلق الباب حتى قفز « ماجد » من فراشه، وامتدت يده

إلى القنبلة أسفل فراشه، وكان بامكانه ابطال مفعولها بسهولة، ولكن خطته التي وضعها بنفس اللحظة كانت تقتضي عكس ذلك، كان عليه ايهام العدو بموته من انفجار القنبلة ولو لبضع ساعات قبل أن تظهر الحقيقة.. وخلال هذه الساعات القليلة سيكون قد أنجز الكثير.

وانتبه « ماجد » الى عقرب الثواني بالقنبلة..

لم يعد باقياً على انفجار القنبلة سوى دقيقة وعشر ثوانٍ.. التقط « ماجد » أشياءه الهامة متجهاً نحو باب الحجرة.. ولكن الباب كان مغلقاً من الخارج وليس من سبيل إلى فتحه.. وجمد « ماجد » لحظة في مكانه، إن عدوّه لا يغفل مثل هذه الأشياء البسيطة، وكان باستطاعته تحطيم الباب والخروج بسهولة ولكن هذا كان كفيلاً بافساد خطّته.. لقد هوجم ثلاث مرّات حتى الآن بغرض قتله، ولن يكف عدوّه عن مهاجمته طالما هو على قيد الحياة، اذن فسوف يوحي لعدّوه أن هدفه قد تحقّق، وعندئذ سيوجّه هو ضربته القاتلة لهذا العدو.

أسرع إلى الحمام.. وكانت له نافذة ضيّقة جداً لا تسمح بالمرور منها.

لم يعد متبقياً أمامه إلا ثلاثون ثانية.. وكان لا بد له من الخروج من المكان بأي وسيلة.. وفي نفس اللحظة وقعت عيناه على نافذة

حجرته.. ولمعت الفكرة في عينيه فأسرع اليها وأطل منها..

كانت الأرض بعيدة.. بعيدة.. ولم يكن هناك سوى افريز ضيّق بالكاد يتسع لقدميه، ولم يكن هناك أي شيء يستند عليه في محاولته للابتعاد عن الحجرة.

خمسة وعشرون ثانية.. لم يكن هناك مجال لأي تصرّف آخر.. ولا بد أن الشبح الذي زرع القنبلة ينتظر بمكان ما ليشاهد نتيجة عمله.. وفكر « ماجد » في أن الشبح لا بد وأن يكون « باتريشا » الألمانية خبيرة زرع المتفجرات.

أسرع « ماجد » إلى النافذة ووضع قدميه فوق افريزها.. وكاد رأسه يدور للعلو الشاهق، وتكشفت له من مكانه العالي كل تفاصيل المدينة في أواخر الليل وتباشير الفجر الباكر.. كاد يصيبه الدوار للعلو الشاهق.. ومرة أخرى أبرزت « اليوجا » فوائدها..

سكون كامل.. انفصال تام عن العالم المادي.. تناسق روحي وجسدي..

خطا « ماجد » مبتعداً عن نافذة حجرته في بطء.. تلاشى شعوره بالدوار للمكان العالي وغمرته سكينة وصفاء..

في نهاية الافريز عند نهاية حجرته كانت هناك لوحة اعلانية

ضخمة بارتفاع نافذته.. وبخفّة النمر تسلّقها « ماجد » صاعداً لأعلى طابقين..

استغرق ذلك عشرون ثانية.. وقفز « ماجد » إلى داخل نافذة الحجرة المفتوحة بالطابق العشرين..

وجمد واقفاً وهو يضع قدميه داخل الحجرة ولم يصدق عينيه للمفاجأة العجيبة.. كانت العجوز الأمريكية جالسة فوق فراشها بسبب الأرق فنظرت إلى « ماجد » في ذهول تام.

تمالك « ماجد » نفسه وقال باسماً : لقد كنت أتجول خارجاً يا سيدتي عندما حل بي التعب قريباً من نافذتك فمعذرة لدخولي بلا استئذان.

هتفت العجوز بذهول لا حد له : هل أنت تطير مثل « سوبرمان » أيضاً؟

رد « ماجد » باسماً : أحياناً أفعلها وأنا نائم لتسلية العجائز الوحيدات والقاء تحية المساء عليهن قبل النوم!!

ورفع يده بالتحية وخطا خارجاً من الحجرة بنهاية ما تبقى من ثوانٍ.. وفي نفس اللحظة دوى انفجار هائل في حجرة « ماجد » بالطابق الثامن عشر، وتمزّقت الحجرة شرّ تمزّق، وبدت أكبر قطعة فيها لا يزيد حجمها عن سنتيمترات قليلة!

وسرعان ما انسلّ شبح الألمانية الحسناء وقد ارتسمت ابتسامة انتصار فوق شفتيها.. وكان هذا أقصى ما يتمناه « ماجد ».

أما العجوز الأمريكية فقد أصابها الانفجار برعب هائل أفقدها الوعي، ولم تكن لتفيق منه قبل اسبوع على الأقل!

* * *

معركة فوق التل

رفع « كريشنا » كأسه في سعادة وهو يقول : في صحّتكم جميعاً.. لقد تخلّصنا أخيراً من هذا العميل.. لقد أبرقت إلى رؤسائنا بنجاح المهمة فأرسلوا إلينا بالتهنئة.

ونظر نحو « باتريشا » باسماً وهو يقول : انهم هناك معجبون بك أشد الاعجاب.

قالت باتريشا : سيزيد اعجابهم عندما تتهاوى الشركة الأسبانية تحت وقع متفجراتنا.. وأظن أن المصريين بعدها لن يفكروا في اقامة مفاعلهم النووي، وسيكفون عن ارسال مثل هؤلاء الأغبياء الذين يغطون في نومهم العميق والقنابل تحت رؤوسهم.

انطلق الجميع ضاحكين، وقال كريشنا : سوف تنتهي مهمتنا بعمل مساء هذا اليوم وسنعود كما كنا مجرد حواة ومهرجين في سيرك متنقل..

وبخبث أكمل : وقد نعود إلى العمل سريعاً إذا ما فكّر المصريون أو العرب في شيء آخر.

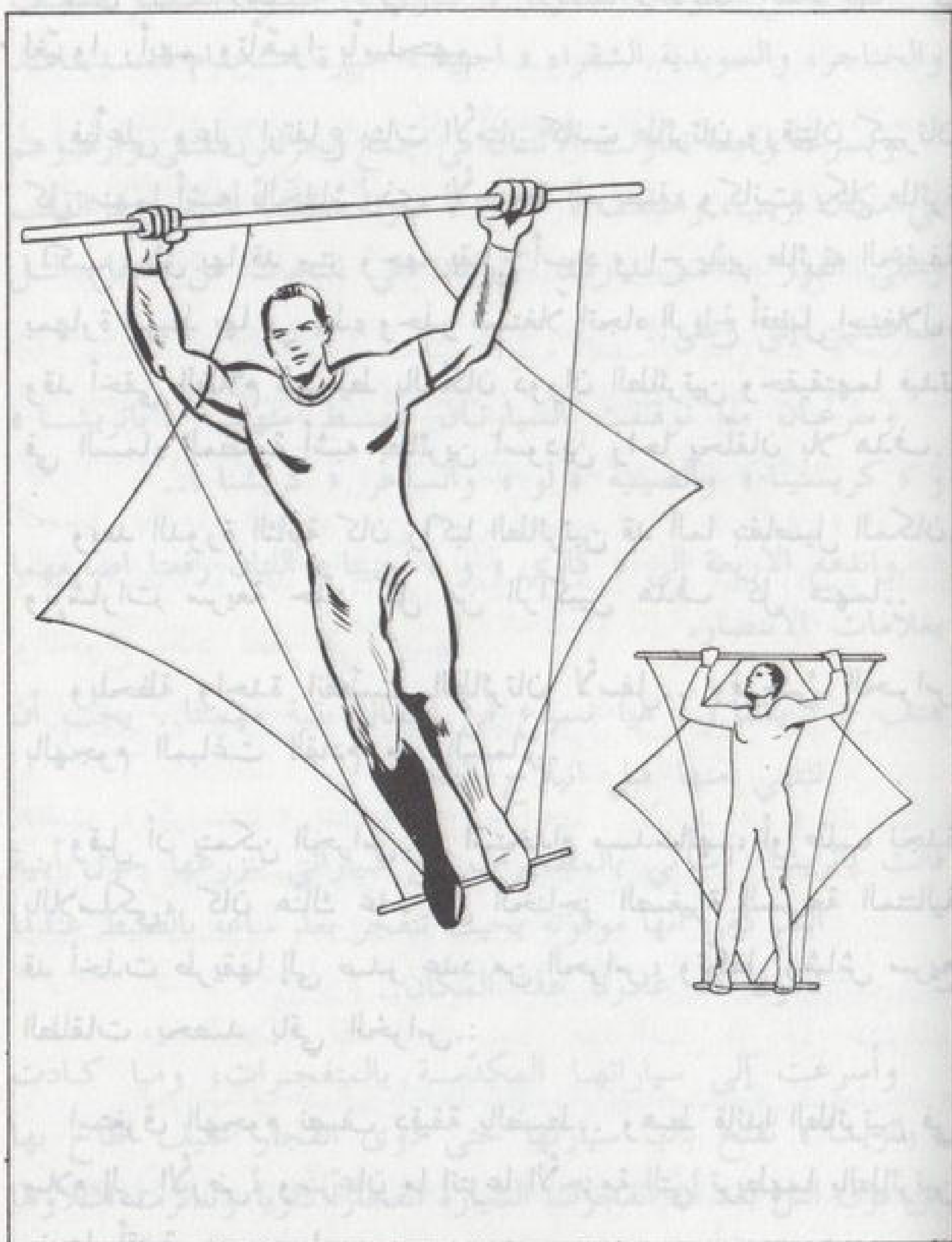
علت ضحكات الجميع، وسرعان ما كانوا ينهضون ليؤدوا فقرتهم الأخيرة في عرض السيرك حيث ينتظرهم بالخارج آخر مهماتهم.. ولم يفطن أحدهم إلى الشبح المتلصص بالخارج، والذي كان يحذر حتى لا تقع قدمه في شرك مرة أخرى.. والذي تسلل إلى حجرة « باتريشا » حيث خبّأت قنابلها الموقوتة ومتفجّراتها وأخذ يعبث بها في حذر، وغادر المكان بعد نصف ساعة عندما أتم مهمته.

* * *

كان مقر الشركة الاسبانية التي عُهد إليها باقامة المفاعل الذرّي يقع على أعلى ربوة مرتفعة يحيط بها حدائق واسعة من الخلف، وعلى البعد يبدو شريط الطريق الضيّق الصاعد إلى أعلى الربوة والهابط إلى قلب العاصمة الاسبانية.. وكان هناك عدد قليل من الحراس بمسدّساتهم وأجهزتهم اللاسلكية قد تفرّقوا حول المباني المتعدّدة للشركة والمقامة في حيز عريض..

وقد تأهّبوا كأنما استعداداً لمقاتلة عدو مجهول قد ينقضّ عليهم في أي لحظة، وعيونهم على الطريق من أسفل حيث يتوقّعون الخطر.

ولعلهم ــ الحراس ــ لو كانوا واسعي الأفق لأدركوا أن الخطر



لا يأتي من الطريق المكشوف عادة، وربما لو رفعوا أبصارهم لأعلى لغيّروا رأيهم وتأهّبوا بأسلحتهم.

فبأعلى وعلى ارتفاع مئات الأمتار كانت طائرتان ورقيتان كبيرتان كل منهما أشبه بالخفاش ذي الأجنحة العريضة، وكانت بكل طائرة راكب معلّق بها قد ستر وجهه بقناع أسود وراح يدير طائرته الخفيفة بمهارة ليهبط بها في بطء وحذر مستغلاً اتجاه الرياح أفضل استغلال، وقد أخفى الظلام المحيط بالمكان دوران الطائرتين وحقيقتهما فبدتا في السماء المظلمة أشبه بطائرين اسودين راحا يحلّقان بلا هدف..

وبعد الدورة الثانية كان راكبا الطائرتين قد ألما بتفاصيل المكان، وبإشارات سريعة حدّد كل من الراكبين هدف كل منهما..

وبلحظة واحدة انقضّت الطائرتان لأسفل.. وفوجئ الحراس بالهجوم المباغت القادم من السماء..

وقبل أن يتمكن الحراس من استخدام مسدساتهم، أو طلب نجدة باللاسلكي، كان هناك عدد من الخناجز الصغيرة السريعة المتتالية قد أخذت طريقها إلى صدر عدد من الحراس، وتكفّل رشاش سريع الطلقات بحصد باقي الحراس..

استغرق الهجوم نصف دقيقة بالضبط.. وهبط قائدا الطائرتين في سلام إلى الأرض، وسرعان ما انتزعا الأحزمة التي تربطهما بالطائرتين ونزعا أقنعة وجهيهما..

كانا هما الكوبية السمراء « كاري » خبيرة العاب السيف والخناجر، والسويدية الشقراء « اجنيتا » خبيرة استخدام المسدسات.

وبسرعة وخفة تعاونت الاثنتان في جمع الحراس القتلى وارقدوهم في مكان قريب، واطلقت « كاري » صوتاً متقطّعاً أشبه بعواء الذئب وعلى الفور بدأت سيارتان كبيرتان في التحرك من أسفل التل صاعدتين إلى أعلى..

وسرعان ما توقّفت السيارتان لتهبط منهما « باتريشا » و « كريستينا » والصينية « لو » والساحر « كريشنا »..

واندفع الأربعة إلى « كاري » و « اجنيتا » اللتان رفعتا اصابعهما بعلامات الانتصار.

هتف « كريشنا » : هيا نسرع في اكمال بقية مهمتنا.. يجب أن ننتهي منها قبل انبلاج الفجر.

قالت باتريشا : سآتي بالمتفجرات من سياراتي لنزرعها حول أبنية الشركة.. انها موقوتة بحيث تنفجر بعد ساعة بالضبط عندما نكون قد غادرنا هذا المكان..

وأسرعت إلى سياراتها المكدّسة بالمتفجرات، وما كادت « باتريشا » تفتح باب سيارتها حتى دوّى انفجار عنيف اطاح بها من فوق التل بعد أن انفجرت السيارة انفجاراً داوياً وتناثرت اشلاؤها في صوت رهيب..

وأطاح الانفجار « بكريستينا » و « كاري » فألقى بهما على الأرض مصابتين، على حين أسرعت « لو » و « اجنيتا » و « كريشنا » البعيدين عن مكان الانفجار بالقفز في سرعة والاختباء خلف أحد مباني الشركة.

لم يستغرق الانفجار أكثر من ثوانٍ، واندلعت النار في المكان، ورقدت « كريستينا » و « كاري » على الأرض متألمتين من اصابتهما.. فقد أصيبت « كريستينا » في وجهها اصابة كبيرة وغرقت في الدماء وراحت تتأوّه وتتألّم على الأرض وقد تخضّب وجهها الجميل بالدماء القانية، على حين أصيب ذراع « كاري » الأيسر وتدلّى بجوارها وقد غرق في الدم وراحت هي أيضاً تتأوّه بشدّة والدموع تكاد تطفر في عينيها.

واندفع « كريشنا » نحوهما كالمجنون صارخاً : ماذا حدث؟

هتفت « كريستينا » متألمة من جراحها : لا بد أن « باتريشا » ارتكبت خطأ في توقيت انفجار القنابل.

صرخت لو : مستحيل.. ان « باتريشا » لا يمكنها أن تخطئ مثل هذا الخطأ.. لقد قامت بمثل هذا العمل من قبل عشرات المرات واحتمال الخطأ بالنسبة لها مستحيل تماماً.

صاحت « كاري » متألمة : دعونا نغادر هذا المكان بسرعة.. ستصل الشرطة الاسبانية على صوت الانفجار وستقبض علينا.

لنسرع إلى السيارة الأخرى ونبادر بالفرار بها، فانني بحاجة إلى طبيب بسرعة.

واندفعت بقوة متغلّبة على ألمها وهي تحاول ايقاف نزيف ذراعها المصاب، واقتربت من السيارة الثانية.. ووقفت مذهولة وهي تشاهد اطاراتها ممزّقة بسكين حاد!

هزت « كاري » رأسها غير مصدّقة وغمغمت : مستحيل.. مستحيل.. إن ما يحدث الليلة يكاد يصيبني بالجنون.. اننا لم نواجه شيئاً مثل هذا من قبل.

هتف « كريشنا » مذهولاً : لو كان هذا الشيطان المصري لا يزال حياً لقلت إن له دخلاً فيما حدث.

وجاءه الصوت من الخلف : انني المسئول عما حدث بالفعل.. فإنني لا أزال حياً.

تراجع « كريشنا » الى الخلف ذاهلاً.. وانضمت إليه « كاري » و « لو » و « اجنيتا » بذهول أشد.. وزحفت « كريستينا » المصابة لتلحق بهم وقد شمل الذهول والرعب الجميع.

وهتف « كريشنا » بجنون : أنت.. لا تزال حياً؟

قال « ماجد » ساخراً : ماذا ترى أمامك.. أترى شبحاً جاء من عالم الأموات؟

صرخت اجنيتا : لقد قتلت « باتريشا » أيها المتوحّش؟

قال « ماجد » بهدوء : أبداً لقد قتلتها قنابلها.. من يزرع الشر يحصده الموت.. وقد تسببت « باتريشا » في قتل عشرات الأبرياء من قبل، ولا بد أن تذوق من نفس الكأس.. هذا بالاضافة إلى أنها تركت لي تحت فراشي هدية صغيرة، وحيث أنني رجل مهذّب وجنتلمان، فكان لزاماً عليّ أن أردّ لها الهدية ومن نوع أفضل.

هتف « كريشنا » بصوت دموي : سوف أقتلك أيها الذئب.. سأقتلك لافسادك عملنا ولقتلك « باتريشا ».

واختطف رشاش « اجنيتا » وصوبه نحو « ماجد » واطلق ما تبقى به من طلقات..

ولكن « ماجد » لم يتحرك أو يهتز.. وحملق فيه « كريشنا » بذهول هاتفاً : لا بد أنك ساحر.. كل هذه الطلقات لم تقتلك؟

رفع « ماجد » يده ببساطة قائلاً : المسألة بسيطة جداً.. ان طلقات مدفعك فارغة.. لقد أفرغتها بنفسي وبدّلتها برصاص زائف هذا المساء.. وكان لا بد أن أترككم تمضون في خطتكم حتى يقبض البوليس عليكم متلبّسين.

بان الذهول على وجه الجميع، وهتفت « اجنيتا » غير مصدّقة : ولكن هؤلاء الحراس الموتى.. لقد صرعهم الرصاص و ..

ولم تكمل عبارتها.. لأنها شاهدت الحراس يبعثون من سباتهم كأنهم يقومون من الموت!

تراجعت مجموعة الموت للخلف ذاهلة من المفاجأة، وقال « ماجد » باسماً :

لا بد أن خطتي قد بانت ملامحها الآن.. كان لا بد أن يتظاهر الحراس بالموت أمام طلقاتكم الزائفة حتى تكتمل الخطة ونمسك بكم جميعاً، وحتى خناجر « كاري » الدقيقة التصويب استعددنا لها بأردية خاصة لا تخترقها هذه الخناجر.

وتوقف الفريقان متواجهين لحظة..

« ماجد » ومن خلفه الحراس الاسبانيون شاهرين أسلحتهم.. و « كريشنا » الساحر الهندي وبقية فتياته في الناحية الأخرى، ولا شيء خلفهم إلا الهوة العميقة خلف التل..

وصرخت « كريستينا » من شدة آلامها التي سببها الانفجار، وقال « ماجد » بهدوء : ان افضل ما تفعلونه هو الاستسلام حتى تجد زميلتكم علاجاً سريعاً..

صرخ « كريشنا » بغضب : لن نستسلم أبداً أيها الثعلب..

وبحركة مباغتة القى من يده شيئاً تجاه مهاجميه، وعلى الفور انتشرت سحابة كبيرة من الدخان الأبيض، فأخذ الحراس يسعلون

ويكحون.. وحمى « ماجد » عينيه من الغاز المسيل للدموع وأحس بلهيب حارق فيهما، وصاح « ماجد » في الحراس : اطلقوا عليهم الرصاص قبل أن يهربوا.

وانطلقت رصاصات الحراس منهمرة كالمطر في كل اتجاه..

واندفع « ماجد » يخترق ستائر الدخان.. ولكن.. لم يكن « لكريشنا » وفتياته أي أثر.. وحملق « ماجد » مذهولاً، أين يمكن أن يكون قد اختفى هذا الساحر وبقية عصابته؟

وتذكر أخيراً.. ومتأخراً..

وعندما ألقى ببصره لأسفل شاهد الطائرتين الورقيتين وهما تهبطان أسفل التل في رشاقة وسرعة وقد حملت كل منهما اثنين.. بعيداً عن متناول رصاصات الحراس..

هتف « ماجد » بسخط شديد : كيف فاتني ذلك.. لقد هربوا برغم كل هذا المجهود.

وتذكر شيئاً.. لقد كان هناك خمسة من الأعداء، والطائرتين الورقيتين لن تحملا إلا أربعة أفراد، فأين ذهب الخامس أو الخامسة.. وحانت منه لفتة الى شيء قريب متكوّم على الأرض بلا حراك..

كانت « كريستينا »، وقد انغرز أحد خناجر « كاري » في عنقها حتى لا تقع أسيرة في أيديهم.

* * *

قطار الموت إلى برشلونة

قال مدير مكتب المخابرات الاسبانية لمكافحة عمليات الارهاب : دعني أهنئك يا سنيور « ماجد ».. لقد قمت بعمل عظيم.

رد « ماجد » بهدوء : لا أظن يا سيدي.. لقد افلتت أربعة أذرع للأخطبوط القاتل.

— يكفي اننا أفسدنا مخططهم في نسف مقر الشركة، هذا انتصار كبير في حد ذاته، بالاضافة إلى أننا تخلّصنا من اثنتين من هؤلاء الفتيات المدمرات، ولا أظن أن بقيتهن ستغامرن بالظهور في الوقت الراهن، ولعلهنّ غادرن « مدريد » و « اسبانيا » بحالها مع الساحر الهندي.. خوفاً من الوقوع في أيدينا.

ماجد: أما أنا فأكاد أجزم يقيناً أن بقية العصابة لا تزال هنا.. في « مدريد » بالذات، بل وقريباً منا، اقرب مما تتصوّر.

ومال نحو المدير قائلاً : انهم ليسوا أفراداً عاديين.. انهم مجموعة

صناعتها الموت والدمار ولا يمكن أن يرهبهم ولا حتى مطاردة أجهزة مخابرات دولة بكاملها لهم.

قطب مدير المكتب جبينه بغضب ظاهر حاول كبته وهو يقول: انك تقلل من شأننا بقولك هذا يا سنيور «ماجد».. لقد قمنا بتمشيط «مدريد» بأكملها دون أن نعثر للبقية على أثر، كما أننا وزعنا صورهم على جميع رجال الشرطة في «اسبانيا»، وأقول لك واثقاً إن بقية هؤلاء الشياطين لا بد وأنهم عادوا إلى بلادهم خوفاً من الوقوع في قبضتنا، وأيضاً بعد أن فشلوا في اداء مهمتهم..

وفرك يديه بسرور قائلاً: ولعل حكومتك أبرقت إليك بنبأ توقيع اتفاقية التعاون وبدء تنفيذها، والفضل يرجع إليك طبعاً.

وأكمل بلهجة ذات مغزى: وإلى تعاون أجهزتنا معكم.

وسادت لحظات من الصمت، وأحس «ماجد» بشيء من الغيظ يتملكه، كان تدخل رجال المخابرات الاسبانية على غير رغبته، فقد كان يحب أن يعمل وحده دائماً، ولولا تعليمات «م» الصادرة من أعلى مستوى ما علمت المخابرات الاسبانية شيئاً عن المسألة كلها ولا تدخلت فيها.

وكان «ماجد» يعلم أن التقرير الاسباني عن العملية والذي أعده الرجل الجالس أمامه قد نسب الفضل كله إلى جهاز مكافحة عمليات

التجسس الداخلية الذي يرأسه هذا الرجل.. وتجاهل دور « ماجد » تماماً.. ولم يكن هذا هو الموقف الأول الذي يواجهه « ماجد » فقد حدث له نفس الشيء في دول عديدة، فرجال المخابرات في كل البلاد يحبون أن ينسبوا الانتصارات إليهم دائماً، ولو لم يكن لهم فيها من فضل سوى المشاهدة عن بعد!

وأشعل مدير مكتب المكافحة الاسباني سيجارة وهو يتفرّس في ملامح « ماجد ».. وقال بصوت حاول أن يزيل ما به من ريبة :

لقد انتهت العملية منذ خمسة أيام سنيور « ماجد ».. لا بد أن بلادنا أعجبتك كثيراً لتبقى بها كل هذا الوقت..

برغم أنني أعلم أنك رجل مشغول جداً، فإن رجلاً له مواصفاتك لا يمكن منحه اجازة طويلة من جهة عمله.

نهض « ماجد » وهو يقول : لعلك على حق يا سيدي، ولكن بلادكم الجميلة أغرتني بالبقاء قليلاً.

تساءل المدير بعيون ضيّقة : هل أحجز لك مكاناً على أول طائرة تقلع إلى « القاهرة »؟

— بل على أول قطار يسافر إلى « برشلونة »!

قال المدير بدهشة : ما الذي يذهب بك إلى هناك؟

ابتسم « ماجد » ابتسامة واسعة قائلاً : ليس من اللياقة سؤال ضيف

سائح عن السبب الذي يدفعه لزيارة أي مدينة في بلادكم.. لقد تبقت لي أيام قليلة هنا.. وأحب أن أمضيها بطريقتي.

ورفع يده بالتحية ثم سار خارجاً بدون أن ينتظر رداً.

خبط المدير الاسباني مكتبه بقبضته غاضباً وهو يقول : هذا الأحمق المندفع، ما الذي يسعى خلفه.. أيظن نفسه « رامبو »؟

وضغط على زر بجواره في عصبية فاندفع ثلاثة رجال مدنيين على الفور إلى الحجرة، وظهر من سيماهم ووقفة الاحترام التي وقفوها لرئيسهم أنهم مساعدوه المباشرون.

هتف المدير بغضب : هذا الثعلب المصري الأحمق.. انه يريد أن يأخذ جولة قبل سفره ولا يعلم أي خطر يتهدد حياته.. سوف نكون مطالبين بتفسير عاجل إلى حكومة بلاده إذا ما مسّه أي ضرر، وأنا في غنى عن هذه المشاكل.

قال أحد المساعدين وكان أقصرهم : لقد مشّطنا البلاد كلها ولم نعثر لبقية مجموعة الموت على أي أثر، وأظن أنهم غادروا البلاد فلا خطر على الرجل المصري.

تفرّس المدير بعيون ضيّقة غاضبة أشد الغضب في مساعديه الثلاثة وقال : وهل كنا نعلم شيئاً عن مجموعة الموت لولا هذا الرجل..

ولولا تعاونه معنا ما استطعنا اكتشاف حقيقتهم ووضع الخطة التي انتهت بقتل اثنين منهم..

قال المساعد الثاني : ولكن تقاريرنا يا سيدي تقول بأن..

قاطعه المدير بغضب : دعكم من التقارير.. انتم تعرفون أن التقارير تقول أشياء، وما يحدث في الحقيقة أشياء أخرى!

وضاقت عيناه على أشدهما وهو يقول : أريد حماية كاملة لهذا المصري، فتّشوا كل الركّاب الذين سيركبون قطار « برشلونة » بعد ساعتين، تحققوا من شخصياتهم وخاصة الأجانب.. وقوموا بتأمين حجرة العميل ومداخلها ومخارجها، لا أريد لذبابة أن تدخل القطار بدون رقابتكم.

تساءل المساعد الثالث : أتظن أن هذا المصري معرّض لخطر ما يا سيدي؟

رد المدير : بل انني موقن أنه أصبح الهدف المباشر لبقية العصابة الهاربة، انهم لن يدعوه يفلت حياً لما فعله بهم، ولا أظن أن مواجهته لهم ستكون في صالحه أبداً!

° ° ° °

أحس « ماجد » بحركة غير طبيعية في محطة القطار الرئيسية « بمدريد ».. كان ثمة احساس يقيني لديه بأن هناك عشرات العيون

التي ترصده.. عيون من كل اتجاه وفي هيئات مختلفة.. ولكنها عيون صديقة تبغي حمايته.

لم تكشف ملامح « ماجد » عن أي مشاعر.. غير أن جوفه كان يغلي بالغضب، كان لا يبغي حماية من أحد، اذاً كيف يقدم الحماية من أفسد عمله من قبل؟

واقتطع تذكرة باحدى عربات النوم في القطار المغادر الى « برشلونة » بعد نصف ساعة. واتجه إلى كافتيريا المحطة وراح يحتسي فنجان الشاي على مهل وعيناه تراقبان الجالسين والرائحين والغادين بتيقظ.

كان يعلم علم اليقين أن ثمة عيوناً خفية في مكان ما تراقبه.. عيون سوف تنتهز اقرب فرصة للتخلّص منه..

ولكن كيف ومتى وأين.. كان هذا هو ما يجهله!

وعندما اتصل برئيسه السيد « م » وأخبره بما تم فوق سفوح « مدريد » قتل « كريستينا » و« باتريشا » أصابت السعادة قلب « م »، ولكن « ماجد » كان له رأي آخر أسرّ به إلى رئيسه، فان بقاء بقية المجموعة أحياء كان يشكّل خطراً على المشروع، كما أن التخلّص منهم كان ضرورة حتى يأمنوا شرّهم في المستقبل.

وكان هناك سبب آخر لم يفصح عنه « ماجد » لرئيسه.. لقد باتت المعركة شخصية بينه وبين فتيات الموت ورئيسهم الساحر

الهندي، وكان يستحيل عليه مغادرة المعركة قبل أن يحسمها.

وكان هناك أمر خفي يضايقه بشدّة، كان تدخّل المخابرات الاسبانية في العملية قد جاء متأخراً وفي آخر لحظة، فقد كان « ماجد » ينوي أن يقوم بعمله إلى النهاية وحده، لولا تدخّل رئيسه « م » بناء على طلب المخابرات الاسبانية التي رغبت في تقديم الحماية « لماجد »..

وكانت النتيجة فرار ثلاثة من فتيات الموت مع الساحر الهندي.. ولهذا قرر أن يمضي في شوط المعركة للنهاية بدون مساعدة من المخابرات الاسبانية وبدون أن يطلعهم على خطته. وكان يعلم أن كل هذه الحماية التي تحاول المخابرات الصديقة أن تبسطها عليه لن تفيد شيئاً في النهاية، وان عدوّه لا بد سيواجهه في قطار « برشلونة » بطريقة ما، حيث سيقف الفريقان متواجهين وحدهما، وجهاً لوجه، برغم ما يبذله البوليس والمخابرات الاسبانية في تفتيش المسافرين والتأكد من هويتهم.

* * *

اطلق قطار « برشلونة » صفارته الأخيرة بعد نصف ساعة من منتصف الليل.. ثم بدأ التحرّك مغادراً « مدريد » في رحلته إلى « برشلونة » التي يصلها في الصباح.

وكانت حجرة « ماجد » تقع في نهاية ممر العربة الخامسة، ويؤدي إليها مدخل وحيد، وعندما أراد « ماجد » الاستوثاق من

قفلها وقع بصره على أربعة أفراد في نهاية الممر خارج الحجرة، وقد وقفوا على أهبة الاستعداد وأيديهم فوق مسدساتهم التي أخفتها ستراتهم الطويلة، وخمّن « ماجد » أنهم ضمن الحراسة التي تقرّرت عليه داخل القطار. أغلق « ماجد » باب حجرته، وألقى نظرة من نافذة الحجرة إلى الريف الاسباني البعيد والسماء الصافية المتألّقة بالنجوم، وتساءل: ترى من أين سيأتيه الخطر هذه المرة؟

ولم يطل تفكيره، وأحس بحاجته إلى الراحة والنوم، فأغلق نافذة الحجرة وتمدد فوق فراشه الذي أخرجه من الحائط، وسرعان ما كان يغط في نوم عميق.

° ° °

قرع الباب ففتح « ماجد » عينيه بتكاسل وفتح الباب..

طالعه وجه باسم حليق الذقن لمحصّل القطار وهو يقول بلهجة اعتذار: انني آسف يا سيدي إن أزعجتك، ولكني أريد الاطلاع على تذكرتك.

ناوله « ماجد » التذكرة بصمت، ومن الخلف شاهد الحراس الأربعة على وقفتهم المتأهّبة، وما لبث المحصّل أن ختم التذكرة وحيّاه شاكراً معتذراً مرة أخرى ثم غادر الحجرة..

وأيقن « ماجد » أن المعركة باتت أقرب مما يظن، فإن أحداً

من الحراس الأربعة الواقفين خارج باب حجرته لم ينتبه إلى أن وجه المحصل كان مربعاً ذي عينين حادتين عميقتين كعيني منوّم مغناطيسي، وإن لم يكن له لحية طويلة وحاجبين ثقيلين.

ولكن، كان من السهل على « ماجد » أن يتعرّف على الساحر الهندي « كريشنا » في أي هيئة، ولكنه تظاهر بعدم اكتشافه حقيقته، فقد كان يريد اصطياد الثعابين الأربعة بقبضة واحدة، كما كان يريد أن يتمتع باكتشاف الطريقة التي ستحاول بها بقية فتيات الموت اقتحام حجرته، برغم عشرات الحراس الاسبانيين المندسّين في كل عربات القطار وخارج حجرته.

* * *

انطلقت اشارة غامضة بجهاز لاسلكي من القطار تحدّد رقم عربة « ماجد » ومكان حجرته..

وعلى أثر اطلاقها، بدأت مجموعة خفية في التحرّك بعد التقاط الاشارة..

كان القطار يمر من تحت أحد الجسور العالية في نفس اللحظة.. وكان الضوء خافتاً والمسافة بين الجسر العالي وسطح القطار تزيد عن عشرين متراً.

ولكن هناك، بأعلى الجسر رقد شبح غامض برداء أسود وقد أمسك بيده سيفاً حاداً وقد تأهّب ليفعل شيئاً ما.

وما أن مرت العربة الخامسة من أسفل الجسر حتى قفز إليها الشبح في جرأة نادرة واستقرّ في نهاية العربة، ومرَّ القطار بنفس اللحظة بجوار احدى المحطات الفرعية الكثيرة لتسقط نورها فوق ملامح الشبح، فظهر وجه « كاري » الأسمر وشعرها الأسود الأكرت القصير وذراعها اليسرى مربوطة إلى عنقها، وبدا في عينيها رغبة هائلة في القتل وحقد لا حد له، كأنها قطعة من الانتقام الأسود قادمة من جهنّم.

وقبل أن تمر خمسة دقائق، كانت هناك طائرة ورقية أشبه بخفاش كبير قد قفزت صاحبتها بها إلى الهواء من منحدّر عالٍ قبل وصول القطار أسفل المنحدر بدقيقتين.. وحلّقت الطائرة الورقية هابطة وقائدها يضبط اتجاهها بمهارة نحو القطار القادم من بعيد، والذي كشفت أضواؤه المبهرة الطريق أمامه..

ودارت الطائرة الورقية مرتين قبل أن تستقر وصاحبتها فوق مقدمة القطار، وهي تحاذر ألا يسقط مسدسها منها، ثم تخلّصت من طائرتها الورقية بالقائها إلى أسفل وتشبّثت بسطح العربة الأولى بقوّة، وقد راح الهواء المندفع نحوها يبعثر شعرها البني القصير حول وجهها الأشقر المليء بالنمش.. كانت « اجنيتا »..

وراحت السويدية الشقراء تخطو بحذر باتجـاه سطح العربة الخامسة، وقد صار شكل وجهها مثل نمرة مهتاجة قد طال أسرها،

وعندما اطلقوا سراحها راحت تسعى إلى من اذوها، ومخالبها تكاد تشق سطحَ القطار لشدّة رغبتها في الانتقام.

واصل القطار اندفاعه.. ودخل منطقة التلال الواطئة الواقعة في منتصف المسافة بين « مدريد » و « برشلونة ».

وكانت هناك صخرة عالية لا تبعد عن شريط القطار بأكثر من ثلاثة أمتار، وكان هناك شبح رابض فوقها يتأهّب للوثوب.. ومرَّ القطار بجوار الصخرة، وقبل أن يعبر بأكمله قفز الشبح قفزة رائعة فتعلّق بقضبان مؤخرة العربة الأخيرة للقطار، وسرعان ما كانت « لو » صاحبة القفزة تتسلّق ظهر القطار زاحفة للأمام باتجاه ظهر العربة الخامسة، وكان وجهها الصغير المستدير وشعرها الأسود الطويل وملامحها الصينية قد تبدّلت إلى ملامح تنين صيني رهيب، يوشك أن يحرق القطار بنيرانه وأنفاسه الحارقة التي يكبتها في صدره.

* * *

معركة بكل الأسلحة

تحطم زجاج نافذة حجرة « ماجد » المظلمة بصوت داوٍ.. وقفزت « كاري » إلى قلبها شاهرة سيفها، وبخطوة واحدة صارت أمام الفراش الممدود فرفعت سيفها في حقد ثم غرسته في قلب الجسد الممدد في الفراش..

وغاص نصل السيف في شيء ليّن طريّ، ولكنّه ليس جسداً بشرياً بأي حال، وقبل أن تفيق « كاري » من ذهولها أضيء نور الحجرة فجأة فالتفتت « كاري » ذاهلة للخلف.

وهناك في نهاية الحجرة كان « ماجد » واقفاً ويده على زر الاضاءة، وفي عينيه نظرة ساخرة وقال لها : كنت انتظرك يا عزيزتي، ومن المؤسف أنني لم أعلم بقدومك إلا متأخراً.. وإلا لكنت أعددت لك حفل استقبال فاخر!

استردّت « كاري » جأشها، ولمعت عيناها بوميض الحقد

وقالت : لا عليك أيها الشيطان، يمكنني أن أؤجل حفل الاستقبال إلى ما بعد جنازتك!

قال « ماجد » ساخراً : سيكون هذا مؤسفاً حقاً، لأنك ستضطرين وقتها الى تناول العشاء بمفردك.. وهذا ما لا يمكن أن أسمح به لأنني رجل مهذّب!

ضاقت عينا الكوبية السمراء وهتفت بصوت مرير : سوف أذيقك أنا من طعامي الآن.

واندفعت نحوه شاهرة سيفها، ولكن ضربتها طاشت عندما انحرف « ماجد » عن مسار السيف، وبحركة بارعة ضربها بقدمه في ظهرها فسقطت على الأرض، وسرعان ما نهضت كالمجنونة وقد زاد غضبها، واندفعت مرة أخرى بسيفها وطوّحت به ليشقّ الهواء نحو رقبة « ماجد »، وبنفس السرعة تعلّق « ماجد » بجدار فراشه ورفع جسده بحركة اكروبات بارعة متفادياً ضربة السيف الذي اصطكّ بقائم الفراش بصوت ذي صليل قويّ وشقه الى نصفين.

جن جنون « كاري »، وبحركة أفقدها الغضب حذرها اندفعت نحوه وقد أعماها الغضب فلم تنتبه إلى السلك الدقيق المنصوب في أرضية الحجرة، والتي ما كادت تخطو فوقه حتى جذب « ماجد » نهايته بسرعة فتعثّرت « كاري » وسقطت على الأرض، وطار سيفها الرهيب ليقع في يد « ماجد »!

انكمشت « كاري » في ذعر شديد من المفاجأة، غير المتوقّعة، وقد صار سلاحها في يد عدوها.. وزحفت متراجعة إلى نهاية الحجرة في رعب وخوف عظيمين..

تأمّلها « ماجد » ساخراً وهو يقول : أخبروني عنكن أنكن فتيات لا يخشين شيئاً.. ومن المؤسف فإن ما أراه الآن، يخالف ما سمعته عنكن من قبل.

وتأمل سلاحها الرهيب، ولم يشك أن طرفه يحمل سماً يقتل من يلمسه في الحال ولو لم تقتله ضربة السيف القاتلة.

نظر « ماجد » إلى « كاري » بقسوة قائلاً : لعلك لم تتخيّلي يوماً أن تذوقي طعم سيفك.

ارتعدت « كاري » بشدّة، وهمست بتوسّل : أرجوك.. لا تقتلني.. دعني أعيش.. دعني أعيش..

لم يعبأ « ماجد » بتوسّلها وتقدّم نحوها، وراحت الكوبية تنتحب مرتجفة بشدّة وقد بدأ جسدها كله يهتزّ من البكاء.. وظهر حزن قاتل فوق وجهها الأسمر الجميل ذي الملامح الفاتنة..

ارتدت الفتاة الارهابية إلى أخرى ضعيفة مهزومة، وكان « ماجد » يعلم أن واجبه يقتضيه قتلها والتخلص منها ليواجه الباقين.

ولكن يده لم تطاوعه أن يمسّها بأذى، فبرغم كل ما تسبّبته

من خسائر ودمار، فإنه كان أرفع من أن يقتل فتاة تسترحمه ألا يقتلها، وهي على ذلك الحال من الضعف، برغم أن أهم قاعدة تلقّاها أثناء تدريبه بالمخابرات هي القاعدة التي تقول: « لا تدع للعواطف أي تأثير على عملك ».

ولكنه كان بشراً..

وببطء هبطت ذراع « ماجد » الممسكة بالسيف بعيداً عن « كاري ».

وكانت هذه هي اللحظة التي تنتظرها « كاري » بالضبط، ومن أجلها أطلقت دموعها الكاذبة ليرقّ قلب « ماجد » لها، وبسرعة خاطفة وخفة شديدة امتدت أصابعها المدرّبة لتلتقط خنجراً مسموماً من حزام صغير حول ساقها.

وبنفس الثانية حدث شيئان كان مقدّراً لهما أن يحدثا بنفس اللحظة..

لم يكن « ماجد » قد شاهد « كاري » وهي تستلّ خنجرها المسموم، ولكنه لمح خيال شبح يطلّ عليه من النافذة المحطّمة، وكان شبح « اجنيتا » وقد صوّبت مسدّسها نحوه وهي معلّقة بسطح القطار بقدميها من أعلى، وتصوّب مسدّسها نحوه بوضع مقلوب.

واطلقت « اجنيتا » مسدّسها نحو « ماجد ».. وبنفس اللحظة اطلقت « كاري » خنجرها المسموم تجاهه.. وندمت كل منهما..

ولكن ندمهما جاء متأخّراً جداً ولا فائدة منه..

فقد كان « ماجد » يقف في منتصف المسافة ما بين الاثنتين، ويحجب نظر كل منهما عن الأخرى، لذلك وقبل أن تطلق « اجنيتا » مسدّسها أو قبل أن يطير خنجر « كاري » نحوه بأجزاء من الثانية، قفز « ماجد » مبتعداً عن مسار الرصاصة والخنجر. ولكن « اجنيتا » و « كاري » لم يتح لهما الوقت الكافي ليفعلا مثله، ولا كانت كل منهما تتوقّع أن تكون نهايتها على يد زميلتها.. واستقرت رصاصة « اجنيتا » في جبهة « كاري » واستقر خنجر « كاري » في قلب « اجنيتا » التي سقطت خارج القطار، على حين تكوّمت « كاري » ميتّة أسفل فراش « ماجد »!

وقف « ماجد » لحظة لا يصدّق ما يحدث.. وجفّف قطرة عرق انسالت من جبهته، كان سيف « كاري » لا يزال بيده، وكان يعلم أنه ما زال هناك عدوان آخران، وكان عليه الاحتياط لهما.. ولكنه لم يكن يرغب في استعمال الأسلحة غير المألوفة لديه، فألقى السيف نحو « كاري » فسقط بجوارها ونصله مشرّع في الهواء، كأنما أسندته « كاري » بجوارها وجلست تنتظر شيئاً ما.

وفكّر « ماجد » في أن الصينية « لو » هي التالية.. وان معركتها معه لا بد ستكون معركة في الألعاب الصينية.. وكان عليه أن يهيّئ نفسه لملاقاتها.

ولكن « لو » جاءت بأسرع مما تخيّل، فعندما اتجه « ماجد »

إلى نافذة الحجرة محاولاً سدّها بفراشه اندفعت قبضة حديدية من خارجها بضربة هائلة في كتفه ترنّح لها إلى الخلف.

وقفزت « لو » إلى داخل الحجرة وقد ارتدت في يديها قبضتين حديديتين بمخالب قاتلة كمخالب النمر..

أحس « ماجد » بألم شديد في موضع الضربة التي أصابته في كتفه، والتي لو انغرست قليلاً به لربما انتزعت ذراعه بالكامل..

وتصاعد غضبه إلى قمّته وهو يشاهد قطرات الدماء التي تجمّدت على قميصه موضع اصابته..

هتف « ماجد » بغضب شديد : أيتها المخادعة..

تقلّصت ملامح « لو » فبدت مثل نمرة شرسة وقالت بصوت ينضح كراهية ومرارة : سوف أقتلك.. سأمزّقك بهذه المخالب.. أقسم أن أفعل ذلك.

واندفعت نحو « ماجد » وهي تزأر بصوت عالٍ كحيوان متوحّش، وقفز « ماجد » متحاشياً مخالبها الحديدية التي استقرّت في جدار الحجرة فترك موضعها آثاراً غائرة كأنها مخالب وحش رهيب. واستدارت « لو » نحو « ماجد » مرة أخرى، وقفزت في الهواء وقدماها مصوّبة إليه فلمح « ماجد » النصل الصغير الحاد كالموس في مقدّمة حذائها، وتدحرج « ماجد » بسرعة مبتعداً عن مسار قدميها، وبحركة بارعة قفز « ماجد » خلفها وصوّب لها ضربة

« ميكازوكي » هائلة بقدمه اليسرى إلى ظهرها فاندفعت « لو » من شدّة الضربة لتصطدم بالحائط وترنّحت قليلاً، وانتهز « ماجد » الفرصة وبضربة من قدمه بحركة « كاراتيه » بارعة « يوكو كيري كومي » سدّد ضربة هائلة إلى رقبة « لو » فزاد ترنّحها، وقبل أن تسقط على الأرض أمسك بها « ماجد » من ياقتها وبحركة جودو تراجع للخلف ورفعها بقدمه اليمنى وحملها فوقها ثم ألقاها على الأرض خلفه فسقطت فوق قائم الفراش وجرحت جبهتها بشدّة..

ونهضت « لو » كالمجنونة والدم يغطي وجهها، واندفعت نحو « ماجد » وصوّبت قبضتها اليمنى القاتلة نحوه فتحاشى « ماجد » الضربة القاتلة، ولكن « لو » وبنفس اللحظة فاجأته بضربة من مقدّمة قدمها اليسرى نحو ذراعه اليمنى، فأحس « ماجد » بحد الموس في مقدمة حذائها وهو ينغرز في ذراعه..

والتمعت عينا « لو » وهي تشاهد الدم المنبثق من مكان ضربتها في ذراع « ماجد »..

وكان هذا أكثر مما يحتمله « ماجد ».. ولا كان قد جرح في أي معركة خاضها من قبل..

وبقوة هائلة صوّب « ماجد » إلى الصينية لكمة هائلة فترنّحت لها « لو » وجحظت عيناها من شدّة الألم.. وقبل أن تفيق من الضربة طار « ماجد » في الهواء واندفعت قدمه اليمنى بحركة كاراتيه « توبي يوكي » لتسدّد ضربة هائلة إلى وجه « لو ».

وطارت « لو » عن الأرض كأنما صدمها « بلدوزر » وسقطت متكوّمة على يمين « كاري » الميتة، وما أن لامست « لو » الأرض حتى شهقت شهقة عالية واتسعت عيناها عن آخرها ثم سقطت رأسها بجوارها ميتة!

وحدّق « ماجد » بريبة في « لو » وقد ظنّها تمارس احدى ألاعيبها، ولكنه شاهد نصل سيف « كاري » وقد انغرز في ظهر « لو » وظهرت مقدّمته من الأمام..

كان المشهد مؤلماً.. ولكن الموت جاء رغماً عنه، وكانت الصينية تستحقه.

كانت ذراع « ماجد » لا تزال تنزف فانتزع شريطاً من فراشه وربط به ذراعه اليمنى حتى يوقف نزفها.

ولاحت أضواء النهار خارج النافذة المحطّمة.. والقطار لا يزال يشقّ طريقه إلى « برشلونة » بسرعة كبيرة.

وبرغم آلام « ماجد » فلم يكن لديه وقت للراحة والعناية بجراحه، فقد كانت رأس الأخطبوط الساحر الهندي لا تزال حيّة وعليه باقتناصها وتحطيمها.

تعلّق « ماجد » بحافة النافذة المحطّمة.. وبحركة بارعة دفع بجسده خارجها لأعلى وتعلّق بقضيب حديدي بارز في حافة عربة

القطار، ورفع جسده فوق القضيب فصار فوق سطح العربة والهواء يصفعه بشدّة..

كان يعلم أن « كريشنا » سيأتي حتماً بنفس الطريقة من نافذة حجرته.. وقرر « ماجد » أن يبدأ بالهجوم هذه المرة.

زحف « ماجد » فوق العربة حتى وصل إلى نهايتها واتصالها بالعربة السادسة فاختبأ بينهما وقبع ساكناً وهدير عجلات القطار بأسفل يكاد يصمّ الآذان..

ومضى وقت وقد تكشف النهار تماما..

وأخيراً سمع « ماجد » صوت خطوات وهي تقترب من نهاية العربة السادسة باتجاهه..

ومرت ثوانٍ ثم شاهد « ماجد » قدمين تعبران فوقه، وبلحظة خاطفة استقر فوق عربة القطار خلف « كريشنا » وهتف به ساخراً : هل جئت تطمئن إلى وفاتي أيّها الساحر الهندي؟

التفت « كريشنا » ذاهلاً وهو يشاهد « ماجد » يبعث من مكان مجهول، وقال ذاهلاً : أنت.. ألا تزال حياً؟

هز « ماجد » كتفيه قائلاً : إنها عادة سيئة كما ترى، فإن كثيرين حاولوا ارسالي إلى العالم الآخر، وحيث أنهم لم يكونوا مهذّبين في وسائلهم فقد أرسلتهم بدلاً مني!

غمغم « كريشنا » غير مصدّق : والفتيات الثلاث .. « كاري » و « اجنيتا » و « لو »؟

رد « ماجد » بأسف : لو اتسع لي الوقت لأقمت لهن جنّازاً فخماً، ولكنني كنت متعجلاً لابلاغك النبأ، وقد حدّثتني نفسي بأنك ربما ترغب في اللحاق بهنّ في الآخرة فجئت لأساعدك في ذلك حتى يجتمع شملكم ثانية.. ولكن في الجحيم هذه المرة.

اربدّ وجه الساحر الهندي وهتف في حقد : أيها الشيطان الذي لم أصادف له مثيلاً.. انك مثل القطط بسبعة أرواح، ولكنني سأنتزعها منك مرة واحدة.

وأخرج الساحر من جيبه شيئاً يشبه المنجل ذو سن حادّة رهيبة وألقاها نحو « ماجد »..

ألقى « ماجد » بنفسه على أرضية سطح القطار متدحرجاً بسرعة عن مسار المنجل الحاد الرهيب الذي دار دورة كاملة في الهواء ثم عاد ليستقرّ مرة أخرى في يد الساحر، وما كاد « ماجد » يستقرّ على قدميه مرة أخرى حتى كان الساحر يلقي إليه باثنين آخرين دوارين.. وأسرع « ماجد » يلقي بنفسه مرة أخرى مبتعداً عن مساري المنجلين القاتلين.

وبسرعة خاطفة أخرج « ماجد » مسدّسه، ولكن حركة الساحر



كانت أسرع، فقد أخرج من مكان ما بصدره سوطاً طويلاً أطاح به في الهواء فسقط طرفه فوق يد « ماجد »، وجذب الساحر السوط فانتزع طرفه السلاح من يد « ماجد » ليصير في سرعة خاطفة بيد الساحر.

وقف « ماجد » يحدّق في الساحر وهو يحس بآلام من أثر السوط فوق يده.. وتفرّس الساحر في « ماجد » بعيونه الحادة وهو يقول : لقد حانت لحظة نهايتك أيها الشيطان..

وقهقه بصوت رهيب وهو يصوّب المسدّس نحو « ماجد ».

كانت المسافة بين « ماجد » والساحر تزيد عن عشرة أمتار، وقدّر « ماجد » أنه لو حاول الهجوم على الساحر فسوف يسبقه الآخر باطلاق الرصاص عليه..

كان الموقف بحاجة إلى معجزة..

وجاءت المعجزة بصورة لم يتوقعها « ماجد »، فارتسمت ابتسامة واسعة فوق شفتيه كأنه لا يواجه موتاً أكيداً أمامه.. وشرع ينظر خلف الساحر وكأنه يراقب شيئاً ما..

واندهش الساحر لهدوء « ماجد » وابتسامته الساخرة.. وزادت ريبته وهو يراه ينظر خلف ظهره.. وببطء وحذر خشية من مفاجآت « ماجد » استدار الساحر لينظر خلفه وهو ممسك بمسدّس « ماجد » في يمينه والسوط في يساره.

ولم يتّسع الوقت للساحر إلا ليفتح فمه عن آخره رعباً عندما اصطدم جدار الكوبري الواطئ بجسده وألقاه أسفل القطار ممزّقاً، في اللحظة التي كان القطار يعبر فيها أسفل الكوبري، وأسرع « ماجد » يتمدّد فوق سطح القطار حتى لا يصدمه جدار الكوبري وقد أيقن أن ملاكه الحارس قد تدخّل في اللحظة المناسبة تماماً.

وعندما انتهى القطار من عبور الكوبري زحف « ماجد » فوق سطح القطار متّجهاً نحو مؤخرته، وارتسمت فوق شفتيه ابتسامة وهو يتخيّل رجال المخابرات الاسبان المكلّفين بحراسته ومنع وصول أي خطر إليه، وهم يدخلون للاطمئنان عليه في نهاية الرحلة فيعثرون على الفتيات الثلاث وجثة الساحر الهندي.

ترى كيف ستبدو وجوههم عندما يعلمون بما حدث داخل الحجرة التي وقفوا لحراستها؟

وكان على « ماجد » أن يغيّر ملابسه ويستعد للنزول في « برشلونة » ليطير إلى « القاهرة » حاملاً تقريراً مفصّلاً بنهاية مهمته.

وأحس بجوع شديد والهواء يصفعه فوق سطح القطار فاتجه إلى سطح عربة الطعام في نهاية القطار، فقد كان عليه أن يحصل على افطاره قبل أن يفكّر في عمل أي شيء آخر.. وتعلّق « ماجد » بافريز نافذة عربة الطعام، ثم قفز إلى داخل العربة. وجاءت قفزته من النافذة المفتوحة في وسط العربة التي اكتظّت بالركّاب الذين جلسوا لتناول افطارهم.

وحملق فيه الركاب ذاهلين.

ومن العجيب أن قفزته جاءت مصادفة بجوار العجوز الأمريكية التي جلست تتناول افطارها وحيدة أثناء سفرها إلى « برشلونة ».. لتنسى ما حدث لها في « بلازا أوتيل »!

وانحنى « ماجد » نحو العجوز بأدب قائلاً : أتسمحين لي يا سيدتي أن أشاركك مائدتك، ما دام أن أحداً آخر من هؤلاء السادة المهذبين ليس لديه قليل من اللياقة ليشارك سيدة وحيدة افطارها.

وحملقت فيه العجوز فاغرة فمها ــ الخالي من الأسنان ــ عن آخره!

ولا بد أنها تأكّدت من تلك اللحظة، انه ولا حتى سوبرمان كانت له مهارة ووسامة ذلك البطل الجالس أمامها.

فهرس

هذه العملية :

اللعبة القاتلة

كان الأعداء من طراز فريد.. خمس حسناوات لا مثيل لجمالهنّ.. وأيضاً لا مثيل لخطورتهنّ.. فكل منهن تساوي فرقة كاملة للموت.. وكان الاقتراب منهنّ يعني شيئاً واحداً.. الموت المؤكّد.

وكان على « ماجد » أن يواجه هؤلاء الحسناوات.. وأن يدخل لعبة الموت بارادته.. حيث الهزيمة تعني الموت..

وواجه « ماجد » الموت خمس مرات.. فبماذا انتهت تلك اللعبة الدموية.. لعبة الموت؟

BLUE BIRD




تحيا مصر
تاريخ